أضواء على

كتب تربوية حديثة متميزة

بقلم

على القاضي



الطبعة الأولى

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

مقدمة

نحن الآن نعيش فترة الصحوة الإسلامية على مستوى العالم كله ، وذلك يحتاج إلى فهم عميق لوظيفة المسلم في هذه الحياة وكيف يستطيع أن يؤديها على أكمل وجه .

والتربية الإسلامية لها دور أساسي في نجاح الصحوة وأداء دورها الكامل بالنسبة للمجتمعات الإسلامية بل والمجتمعات العالمية كلها .

ولابد من أن يفهم المسلم معنى الحياة من منظور إسلامي ومفهوم التقدم والحرية والإبداع والفن وغير ذلك وكيف يستطيع المسلم أن يعيش حياة إسلامية بدون تقديم تنازلات وفق المفاهيم الغربية وغيرها ثم لابد من معرفة أزمة التعلية المعاصر وحلولها الإسلامية فنحن الآن نفتقد الأسوة الحسنة كما أننا نفتقد التربية الأخلاقية الإسلامية .

ثم لابد وأن نأخذ علم النفس من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ومبادئ التعليم من القرآن الكريم ثم لابد من أن نفهم معنى حب الله سبحانه وتعالى وحب رسوله ﷺ حتى يكون المسلم متوازنا في أقواله واتجاهاته وأفعاله ومتميزا في أدائه في المجالات ثم لابد من أن يعرف المسلم الطريق الصحيح الذي رسمه لنا القرآن الكريم والسنة النبوية إلى جانب معرفة المحاور الخمسة في القرآن الكريم وكيف يستطيع المسلم أن يخرج من المأزق الذي وجد فيه ثم لابد وأن يعرف المسلم الطريق الصحيح للتعامل مع القرآن الكريم ففي العصر الحديث توجد الأمية العقلية إلي جانب انفصال العلم عن الحكم إلى جانب الاختلال الكامل في كثير من مجالات الحياة .

ولابد من أن يعرف المسلم اتجاهات الفكر المعاصر والتيارات الحديثة المختلفة مثل التيار الماركسي والتيار الوجودي وغير ذلك إلي جانب مكونات الشخصية في الإسلام

ثم لابد من أن يعرف المسلم في العصر الحديث القلق الإنساني ومصادره وتياراته وعلاج الإسلام له إلى جانب معرفة الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة يعرف أسبابها وطرق التغلب عليها حتى يسير المسلم في الطريق الصحيح الذي يرضى الله سبحانه وتعالى والذي يجعله قادرا على أن ينشر الأمن والسلام والطمأنينة والراحة النفسية والسعادة الحقيقية الكاملة في جميع أنحاء العالم . وهذا الكتاب يجيب على هذه الأسئلة من خلال كتب بعض علماء المسلمين الممتازين .

وبذلك يكون المسلم قد أدى رسالته في هذه الحياة فيرضى الله سبحانه وتعالى عنه في الدنيا وفي الآخرة وهذا ما يتمناه كل مسلم على وجه الأرض والله الموفق والهادي إلي سواء السبيل .

علي القاضي

كتاب نحو تربيه إسلامية معاصرة

للدكتور محمد إبراهيم كاظم مدير جامعة قطر الأسبق

التربية للعصر الحديث :

والتربية في العصر الحديث هي التربية التي نقدمها للصغار والكبار بما يسمح لهم ، ويتيح لهم ويعطيهم من القدرة ومن العزم ما يعطى لهذه الحياة معنى ولهؤلاء الأفراد مقدرة على مسايرة الحياة والإمساك بأعنتها والانطلاق بها إلى حيث يشاء الله عز وجل .

وإذا شاع عن هذا العصر أنه عصر التقنية أو عصر العلم أو عصر الانفجار المعرفي أو عصر المنهج والتخطيط إلى آخر هذه المسميات فإن هذه الصفات على صدقها لا تمثل الوصف الكافي لأن الحاضر مهما زخر لا ينفصل عن الماضي كما لا ينفصل عن المستقبل .

والحياة – انبسطت أو تعقدت – إنما تكتسب مغزاها من الإطار الذي توجد فيه – والحياة حياة الإنسان معنى – إما الانبساط أو التعقيد إما الحركة أو الهدوء أو النشاط بل الضجيج الذي يملأ الدنيا ويشغل الناس ويستغرق الإنسان ، فإنما ذلك كله سمة تمتلئ أو تفرغ إلا من القليل من المعنى.. من هنا كان من الممكن أن تكون الحياة مشكلة – وهذا الموقف عصيب – عكس المفروض – ولكن هذه المشكلة على آية حال مشكلة معاصرة حقيقية لا تقف عند حد كونها قضية فكرية في العالم المتقدم والناس فحسب ، أو في العالم الإسلامي بالذات بل هي قضية ملموسة تراها في عيون الحيارى في الشمال والجنوب والشرق والغرب . نراها بين المتقدمين التعساء والمتخلفين البائسين وإذا كان العصر الحديث مشكلة فإن صميم المشكلة هو معنى الحياة نفسه .

معنى الحياة :

وبدون أن يكون لدينا تصور محدد عن الحياة وماذا نفعل على هذه الأرض والى أين المصير دون إجابة ولو مجملة ، دون تصور ولو بيننا وبين أنفسنا فسوف تستمر الحياة لأن هذه إرادة الخالق ، ولكنها سوف تستمر فقيرة سطحية لا تغطى ولا تشفى ولا تروى .

وهذا هو الموقف المشكل الذي تجمعت عناصره .. وهو مشكلة حتى ولو لم يرها صاحبها كذلك ، لفرط انشغاله ، أو لفرط ابتعاده عن الإحساس بحياة الإنسان بالأسباب المتعددة لذلك .

وبالنسبة للعصر الحديث ، ففي خضم التقدم المادي الهائل ، والتقدم التقني العظيم ومع ضجة الآلة ، وضجيج الأحداث ، وصدام السلاح ، وتحركات الإنسان السريعة ، وقفزاته الهائلة ، وطموحه غير المحدد بهدف ، في خضم هذا كله مؤسسا على تقليد أوربي في الصراع بين العقيدة والحركة منذ العصور الوسطي ، أعادها إلى الفكر اليوناني بعناصره المشرقة وتخلفه العقدي ، في خضم هذا كله نسي الإنسان نفسه ، وعشي عن أن يدرى إلي أين المصير .

التربية والتعليم في الإسلام :

كان لابد من هذه المقدمة ، فهي الإطار الذي يحوى ، والإطار الذي يحدد ، ويرسم الخلفية أو الأرضية التي تبرز عليها ما نريد أن نقول .

فإذا انتقلنا الآن إلي التربية ، فسنجد أول ما نجد أن كلمة [إصلاح] أو كلمة [تربية وتعليم] إنما هي ألفاظ ومصطلحات ترتبط بجذور من صميم نخاع هذه الأمة وفكرها ، وعلى كثرة ما نقلنا وترجمنا وأدخلنا إلي العربية من الألفاظ والمصطلحات الحديثة فكلمتا (تربية) و (تعليم) ليستا ترجمات – بل هي كلمات ومفاهيم أصلية تعطي دلالاتها العربية الخاصة إذا نظرنا إليها بهذا الشكل .

فالتربية هي مصدر ربى وهى من ربا يربو ربوا ، أي زاد ونما ، وربيته تربية

أي غزيته وربي جمع وزاد ورب الصبي أي رباه حتى أدراه .

كل هذا مادة اشتقاقية واحدة .. أي أننا لو رجعنا إلى المعاجم العربية لوجدنا أن التربية هي عملية الزيادة والنماء ، عملية التقدم ، عملية الإضافة التي تؤدى بالإنسان إلي المزيد .

ولأن المزيد مفهوم نسبى ، كان من الضروري أن يكون له ، وأن يكون للتقدم والتربية إطار ينبثق منه ويشتق عنه .

والتربية الحكيمة إذن – تربية لها معنى ، ودلالة أي أن يكون لها هدف واتجاه ، التربية ، التربية الحكيمة اتجاه إلي التقدم .. إلي الأمام بخطوات ، وضمن إطار واضح .

أما التعليم فهو مصدر علم ، بمعني ترك علامة ، والعلامة تميز ، وإذا كانت علم في المعاجم تعنى عرف ، وعلم الأمر وتعلمه تعنى أتقنه ترك الأثر المعرف المميز .

وحيثما كان هناك أثر أي أثر – كان هناك تعليم ، وبتفاوت عمق الأثر كان تفاوت عمق التعليم ودرجته ، وعندما لا يظهر أثر مميز معرف – مهما بذل من جهد – فإن هذا الجهد لا يجوز أن نطلق عليه لفظ التعليم .

ونقل المعرفة وحيازتها ، ما لم يترك أثرا لا يكون تعليما ، وإذا لم يترك أثرا ، ولم يتسبب في نماء ، ولم يحدث إضافة أو زيادة ، فإنه لا يكون تربية .

التربية والتعليم إضافة ونماء وتقدم وحركة . وبقدر ما يكون هذا كله في إطار إسلامي ومضمون إسلامي ، وفى اتجاه إسلامي ، تكون التربية الإسلامية – ابتعادا ، واقترابا .

والإسلام عقيدة وإجراءات ، فليس الإسلام كلمة تقال أو شعارا يرفع ، بل هو رسالة وعقيدة حية تستمر في الحياة ، وتستمر في الحركة وتستمر في الاندفاع والهداية أو القيادة قيادة الحياة ، وقيادة الإنسان .

وعلى ذلك ، فمن وجهة نظر الإيمان بالإسلام كالعقيدة الصحيحة ، فإن الإسلام ليس معتقدا نظريا فحسب – بل إجراءات محددة أيضا – حتى ولو تفاوتت الاجتهادات في ذلك ، ولقد صدق رسول الله ﷺ – حين قال (إن الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل) وتفاوت الالتزام في السلوك والقول والعمل ينم عن تفاوت الإيمان – فهناك الإيمان القوي ، وهناك ما هو أقل من ذلك) .

وإذا كان الإسلام هو التسليم لإرادة الله ، والاستسلام لذلك ، فمستويات التسليم والاستسلام لهذه الإرادة هي مستويات إسلام الفرد ، أو إسلام الجماعة أو إسلامية التربية .

التربية الإسلامية :

وعلى هذا الأساس ، فالتربية الإسلامية هي التربية التي تتحقق بها إرادة الخالق وحيثما تحققت إرادة الخالق عبر نظام تربوي معين ، فهو نظام تربوي إسلامي صحيح ، وأيضا فإن التربية تكون متخلفة عن كونها إسلامية بنفس قدر تقصيرها ، أو قصورها عن تحقيق إرادة الخالق عز وجل .

وإرادة الله التي نتحدث عنها ليست رفعا للمصاحف ، وليست مفاهيم غامضة ، بل كلمة حق يراد بها حق .

إرادة الله مقروءة في كتاب الله – القرآن – موجودة في سنة الرسول ومن تبعه ، معروفة محددة ومبوبة ، وأصول الإسلام وجوهره ، ليس موضع خلاف بين المسلمين من أهل القبلة .

وإذا كانت التربية الإسلامية – هي آية تربية تشكل وتؤدى إلى وجود المناخ المحقق لإرادة الله عز وجل ، أي المؤدى لرسوخ العقيدة والالتزام بالسلوك الإسلامي ، فإننا لا يمكننا أن نحدد لهذه التربية الإسلامية شكلا محددا أو أشكالا معينة .

فإذا نجح نظام تربوي معين ،في مرحلة ما في تأدية مهمته الإسلامية – فلابد وأن نتطور بهذا النظام التربوي – في ضوء وضمن إطار الأصول الإسلامية الصحيحة المستمرة – لكي يأخذ الشكل الذي تتحقق به المقدرة على مجابهة مشكلات العصر الحديث أو مشكلات العصر المتجددة .

وإذا كنا نحيا في عصر تقني يقوم بالآلة ويذخر بالعلم الطبيعي ، ويموج بالمشكلات التي تشتق من هذا وذاك ، فإن نظام التربية وشكلها الإسلامي إنما يكون هو الشكل الذي تتحقق به رسالة الإسلام في أحلى وأجلى صورها

التقدم قبل الإسلام والتقدم بعد الإسلام :

وهنا لابد من وقفة نناقش فيها موقف الإسلام نفسه من التقدم والعصرية والذي يدعونا إلى ذلك هو أن السؤال مطروح ، وليس هناك ما يبرز تجاهله .

كما أننا لا نستطيع أن نستطرد إلى حديث عن التربية الإسلامية في العصر الحديث قبل أن ننتهي إلى رأى واضح في موقف الإسلام نفسه عن العصر .

ونقطة البدء هي أن نطرح تصورنا للتقدم وتعريفنا له في النقاط الآتية :

١. التقدم الإنساني هو الاستفادة والقدرة على الاستفادة من أقصى ما يصل إليه الإنسان .

٢. التقدم هو إنتاج والقدرة على إنتاج الأفضل و الأفضل هو الأكثر وفاء بالغرض والأكثر تحقيقا للهدف .

٣. التقدم نسبى وضروري .

٤. التقدم كفكرة وإجراءات لا ينفصل عن أهداف الإنسان وقيمه ومعتقداته ، هو جزء من مفهوم متكامل للحياة نفسها ، وأبعادها ونطاقاتها .

٥. والتقدم – إذن – حركة ، ولكنه حركة مرتبطة بإطار ومعنى وليست حركة جزافية غير موجهة ، أو عفوية بلا ارتباطات أو ضوابط .

التقدم – إذن – له شقاه السلبي والايجابي ، أو الاستهلاكي والإنتاجي ،

كما أنه نسبي ديناميكي ، وأقصى ما نصل إليه اليوم يختلف عن أقصى ما وصلنا إليه أمس ، أو ما نصل إليه غدا – نفس معنى التعبير آخر طراز (فآخر طراز للسيارات سنة ١٩٨٠. هو طراز ١٩٨٠. وهو يتقدم طراز ١٩٧٥ وهو آخر ما وصلنا إليه في ذلك الوقت) .

كذلك الاستفادة من أقصى ما وصلنا إليه – فإذا كانت الإضاءة الكهربائية بصورة ما هي آخر ما وصلنا إليه لمجتمع إنساني ، كان اتباع هذا الأسلوب يمثل عصرية وتقدما ، بالمقارنة مع أسلوب استخدام مصابيح الغاز – على الرغم من أن مصابيح الغاز كانت تمثل أقصى تقدم في يوم ما حتى الشموع – كانت تمثل صورة عصرية متقدمة في يوم ما .

وعندما كانت مصابيح الغاز أوفى بأعراض الإضاءة من الشموع ، كان إنتاجها يمثل حضارة أكثر تقدما من الحضارة التي لم تكن تنتجها ، وكان شيوعها يمثل حضارة أكثر تقدما من الحضارات التي لم تستفد باستعمالها على نطاق مماثل من الشيوع والانتشار .

وعلى الرغم من أن الحضارات لا يحكم تقدمها أو تخلفها أساليب الإضاءة فيها فحسب أو حتى نواحيها المادية الملموسة ، كما سنرى إلا أنها عناصر لا يمكن إغفالها أيضا .

وهكذا – فعندما أقول : فرد متقدم أو مجتمع متقدم فإنما أقصد كلتا الناحيتين الإنتاجية والاستهلاكية أو الاستفادة من أقصى ما وصلنا إليه والإسهام في الإنتاج والتقدم به ، وإذا كانت – أقصى – تمثل زيادة مستمرة الحركية في الكفاءة وأداء الغرض بصورة أقل جهدا ونفقة ، فإن التقدم يصبح فكرة تقوم على تصور ديناميكي نسبي مستمر ، في إطار من فلسفة تسبغ عليه المعنى الذي يبرز ما يبذل من جهد وعناء .

وإذا كان معنى هذا التقدم والعصرية ، فلا يمكن أن يكون ماديا صرفا ولا

تقنية مجردة وإذن فكل تقنيات الغرب وتقدميتها لا تجعل منه بالضرورة مثال التقدم، كما أن مشكلة تخلف العالم المتخلف لا يحلها سيره الحثيث على درب الغرب ، وترسم خطاء ، والاستغراق في ذلك على غير هدى من معنى يضيء المسار .

ومن موقع الإسلام فنحن لا نرفض التقدم المادي ولا نزهد في ثماره ، ولا نكره أن نشارك في صنعه وجني ثماره ، وليس هناك من يحرم الاستفادة من هذه الخيرات التي أتاحها ويسرها الله تعالى لعباده {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ} (الأعراف٣٢) {أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً} (لقمان ٢٠) .

بل أن الإسلام يفرض على المسلم أن يشارك في عملية التقدم المادي وهي إحدى واجبات المسلم في العصر الحديث بدونها لا يكون له كلمة ولا كرامة ولا شأن ، بل ولا القدرة على الجهر بكلمة الحق وتبليغ إرادة الله ناهيك عن الدعوة إليها أو الذود عنها ، أو حتى مجرد العيش في عزلة عن الأذى والمهانة والاستبداد

ولكن كما ذكرنا – فإن هذا التقدم المادي علي ضروراته لا يكفى وإن أكثر ما نصل إليه ليس طائرات أو دبابات أو إضاءة ميسرة فحسب ، بل أن هذه النواحي وهذه الثمار المادية للتقدم ، إنما هي تقدمات تكتسب حقيقتها من مدى إضافتها لقدرات الإنسان وإثراء حياته ومدى إضافتها لروح الإنسان ومقدرته على الحياة الحرة وشعوره بالكرامة والعزة والطمأنينة والأمن والإسلام وهو يحس على جعل الأرض دار عمران أكد على أن تكون دار أمن وطمأنينة وسلام

فنحن نحيا على هذه الأرض ، ولكن حياتنا عليها ليست كل شيء وليست نهاية المطاف وليست المستقر ومهما اطمأننا ومهما انتعشنا وانشغلنا ومهما سعدنا وشبعنا وروينا فنحن ضيوف يطول بنا الأمد أو يقصر .

والإسلام لا يفرق في نظرته إلى الحياة بين حياة على هذه الأرض وامتداداتها اللانهائية ولا عبر الأبد في الحياة الآخرة فلله عاقبة الأمور { ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ } (الحج٤١) أي أن الإنسان يحاسب ثوابا أو عقابا على ما يفعله على هذه الأرض باعتبارها جزءا من هذا الامتداد السرمدي { أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ } (الجاثية ٢١) .

إن معنى الحياة : هو معنى النجاح والانتصار والفشل – الشعور بالرضا وتحقيق الذات أو الإحساس بالتمزق – العجز أو الانهزام أو القصور عن الوصول إلى المبتغى.. كل هذه المفاهيم والأحاسيس إنما تتكون وتقيم أو تقمع أو تغزز ضمن إطار الحياة المستمرة ، تتكامل فيها حياتنا على الأرض مع حياتنا الأخرى .

والحياة شاملة لعلاقتنا مع أنفسنا ، ومع الناس ولعلاقات الناس والمجتمعات بعضها مع بعض ، ولعلاقات الإنسان مع البيئة من غير الإنسان فعلا وانفعالا بالجماد والأحياء من نبات وحيوان ومعادن الأرض وسوائلها وغازاتها وصور الطاقة فيها .

وضمن هذا يكون العمران والتقدم أو الخراب والتخلف {فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ } (الحج٤٥-٤٦) .

والتقدم والعصرية بعض ما هو مطلوب من المسلم على هذه الأرض إلا أن

على الإنسان مسلما أم غير ذلك – أن يدرك أن هذه الدفعات التقدمية مادية وأخلاقية معنوية ، تختلف في مبدئها وأصولها عند المسلمين عنها عند غيرهم ، فهي عند المسلم قصور في إطار إسلامي ، بل انه لا يكفى أن يكون السلوك حميدا في ذاته { فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ } (الأنبياء : ٩٤) .

ولا يسعنا إلا أن نشعر بالتضاؤل المتناهي أمام المعنى الشامخ لبدء الأمور {بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ } وللمؤمن أن يشعر برعشات الفرق وهو يشهد ويحس الفارق الضخم بين ما يفعل من خير نابعا عن مستويات أخلاقية عليا ، ولكن في فراغ من الإيمان وبين هذا الفعل باسم الله الرحمن الرحيم .

من هذا المنطلق ترتبط الحياة العصرية والتقدم بهذا كل الارتباط في الشرق أو الغرب على السواء ، وفى المجتمعات المسماة بالمتقدمة ، والمجتمعات المسماة بالنامية أو المتخلفة جميعا ، ودون ذلك لا تتكامل عناصر الحياة ولا تحقق من الرضا والسعادة والأمن ما يعطيها المقوم الكافي لمفهوم التقدم ، وان أعطانا الوفير من تفسيرات الحيرة والقلق والضياع عند المتقدمين والمتخلفين في هذا العصر – مع اختلاف المسببات .

فالتقدم التقني – في حد ذاته – في فراغ من الإيمان وعزلة عنه ، لا يمكن أن يؤدى إلى تقدم ،ولا يمكن أن يتيح تقدمية صحيحة ، ودليلنا هو واقع العصر نفسه في مآسي الأفراد وعلى صفحات وجوههم ، وفى سلوك المجتمعات ، وسجل الأحداث فيها .

وبقدر ما أصاب هذه المجتمعات من عشي عن أن ترى الإطار الشامل نجد أن ما تحقق في بعض جوانب التقدم لم يحقق للإنسانية الطمأنينة والأمن والرخاء والتحقيق النفسي أو الاجتماعي للذات .

ولا ينبغي أن يفهم من هذا أن الحديث عن المجتمعات المسماة بالمتقدمة فحسب ، فليس التقدم المادي شرا يزول بالتخلف ، فالمجتمعات المتخلفة تتحمل من البؤس ، وتتردى إلى ما هو أشد وأنكي .

وإذا كانت هذه هي احدي بدهيات العصر الحديث ، فلا أقل من أن نراها كذلك ، ولا أقل من أن ننبه إلى هذا الجزء المفقود في تقدم المجتمعات المسماة بالمجتمعات المتقدمة والمتخلفة من باب أولى .

ومفتاح الحل لهذه المشكلة الإنسانية المعاصرة بين أيدينا ، وعلى كواهلنا تقع مسئولية التحرك نحو (كل) إنساني شامل سعيد .

القوي البشرية الإسلامية :

والآن لابد من إجابة محددة لسؤال محدد : من نحن؟ وبما ذا نؤمن؟ وما هو الإجراء التطبيقي السلوكي المميز لما نؤمن به؟ وليس التساؤل أكاديميا ، كما أن الهدف منه ليس مجرد إجراءات محددة يمكن الالتزام بها في حياتنا كأفراد متفرقين، فالقضية عامة ، والمطلوب إجابة مضيئة ، وحل يمكن إلى جانب تطبيقه أن نذيعه بين الناس ، وندفع بهم لكي يروه ، ونرفعهم لكي يستسلموا له ويؤمنوا به ، وينقادوا لأهدافه وكل هذا جزء من مسئولية المسلم نحو الحركة الإنسانية المعاصرة المتقدمة ماديا ، والمتخلفة فيما غير ذلك .

النظم الاجتماعية أو السياسية القائمة ، أو المنشودة لا تصنع الإنسان ، وإن كانت تتفاعل معه – تفعل فيه ويفعل فيها – والمجتمعات ليست مفاهيم منعزلة ، ولكنها تفاعلات بين قوى بشرية قائمة .

ومجتمعات المسلمين تفاعلات بين قوى بشرية مسلمة ، تعلو وتهبط ، وتقوى وتضعف حسب نوعية قواها البشرية .

وإذن ، فما هي القوى البشرية الإسلامية المتاحة ؟ وما هي نوعية القوى البشرية المسلمة التي تستطيع أن تتحمل كواهلها هذه الأعباء ؟ من هو المسلم ؟

وما هي صفات وسمات هذا المسلم الذي يستطيع أن يتحمل مسئولية أن يكون عصريا بالمعنى الذي أشرنا إليه ؟ وأن يتحمل مسئوليته كمسلم في تكوين مجتمع إسلامي سليم مطمئن سعيد ؟ ثم أن يتقدم بهذه الرسالة للعالم كله لكي يشارك في عملية إرشاد المجتمع الإنساني كله للسعادة والطمأنينة والمحبة والسلام ؟ ولنؤجل الآن النقاش حول موقف المسلم الذي لا يريد أن يكون عصريا لأنه لا يستطيع ، والذي يكره العصر ويسخط على أهله لأنه لا يستطيع أن يشارك فيه ، ولا يستطيع أن يتجاهل وجوده .

إن الفرد لا يتكون بالتمني ، والمجتمعات لا تتكون ، ولا تنفعل ولا تتجه ، ولا تمرض ، ولا تصح كيفما اتفق ، ولكن لكل شيء سببا .

والتربية – وهى الجهد المقصود لإحداث ذلك – لا يمكن أن تكون عملية هلامية الأبعاد ، لا يمكن أن تكون صحيحة ولا شعارا ولا موقفا ، لابد أن تكون خطة وسياسة واستراتيجية ، لا يمكن أن تكون إجراء معينا ، ولكنه خط طويل من إجراءات مستمرة في إطار واضح المعالم محدد الأهداف والإجراءات والمسالك .

وعلى الرغم من أننا كثيرا ما نسمع أن للتربية فعل السحر ، فنحن ننفى ذلك لأن ذلك أقرب إلى التمني من الواقع ، وكل ما هناك أن الجماهير العريضة في كثير من بلاد العروبة والإسلام تمتلئ إيمانا بالتربية والمدرسة .

وآثار هذا الإيمان نراه ضمن ما نراه من شواهد أخرى ، فيما تخصصه هذه المجتمعات من طاقات تكرسها للتربية على ندرة المتاح من هذه الطاقات .. وعندما نجد الشعوب الفقيرة تدفع الملايين من الأموال والملايين من الأطفال لكي يتعلموا ويتربوا ، دون أن يساورهم الشك أو التردد أو مراجعة النفس في هذا الذي يفعلونه .

إن المرء ليقف بكل جدية أمام هذا المشهد ليراجع نفسه في صدق ، عن

دلالة هذا السلوك القائم على الاعتقاد الراسخ في جدوى التعليم ، وعن الأبعاد للنظام لأي تشكيل في هذا التعليم القائم ، والمسئولية الرهيبة عن الصمت الذي قد يفرضه تيار جارف من هذا القبيل أو همهمات شاحبة لا يسمعها أحد .

وإذا سمحنا لأنفسنا أن نكرر تحليلنا البسيط للتربية ، وهى من الفعل (ربى) أي (نمى) بتشديد الباء والميم – فالتربية هي عملية تنمية : تنمية الجد وتنمية الفكر وتنمية الإيمان وتنمية المجتمع ، وما لم يكن كذلك فليس تربية .

إن المعيار الذي نحكم به على جدوى التربية في مجتمع من المجتمعات إنما هو الأثر الذي نلمسه في نجاح هذه التربية ، فالنجاح هو مدى الاقتراب من الهدف .

وإذا كنا نتحدث عن التربية المدرسية لهذا الذي يتخرج من المدرسة فنحن نتساءل إلى أي حد هو قادر على مجابهة التحديات التي انتقاها ، وتلك التي فرضت عليه فرضا .

وبقدر ما أراه ناجحا في مجابهة هذه التحديات تأسيسا على ما أقامت به المدرسة ، يكون ما ننسب إلى المدرسة من نجاح ، وبصرف النظر عما تمنحه من شهادات ، وما يحصل عليه من درجات – إن المعيار هو أين موضع النمو؟ وأين مجال النماء ؟ إن العبرة هي أن يكون للجهد التعليمي المبذول أثر نموا كبيرا وقيما أفضل ، وأن يتجه إلى معاني أوضح وأوسع أفقا ، وأرحب مجالا .

وبهذه المعايير نتساءل إلى أي مدى نحن نعلم؟ وإلى أي مدى نحن نربى؟ وإلى أي مدى نتخلف عن القيام بذلك ، على الرغم مما نبذله من جهود ، ومن طاقات؟ ذلك لأن المسألة ليست مسألة جهود تبذل – فالجهود قد تضيع وتبدد وتهدر – ولكن العبرة بالجهود المنتجة التي تحقق المرجو منها .

إن التربية التي تعنى بها أي مجهود مبذول داخل المدرسة وخارجها دون متابعة أو تقويم أي لقاءات طلابية مع مدرسين ، أي تفاعل بين الطلاب ، أي تدريس من كتب أو مذكرات ، أي قراءات هذه التربية مهما شغلت وارتفع

ضجيجها ليست بالضرورة تربية منتجة ، وليست بالضرورة تربية بل أن من الخرافة أن نشيع عنها أنها تربية ، ومن الضلال ألا نعلن ذلك . ولكن التربية الحكيمة المنتجة التي تسير وفق خطة ما تلبث أن تعطى ثمارها .

هذه التربية لها – حقيقة وصدقا – فعل السحر – بل إني لا أعلم أن شيئا في العصر الحديث له فعل السحر مثل التربية – إذا استوفت شروطها ، وقامت على أصولها الصحيحة .

وليس هناك وسيلة لحل مشكلات العصر الحديث للمجتمعات ، وبخاصة المجتمعات الإسلامية المدركة لحقيقة رسالتها ، وأبعاد مسؤوليتها مثل التربية الإسلامية .

التربية الإسلامية والمدرسية :

لقد انتهينا إلى أنه لا يجوز الفصل بين النواحي المادية والمعنوية في الناس ، وإلى أن التقدم التقني يكتسب معناه من زيادة قدرة الفرد والمجتمع علي التقدم والانطلاق لتحقيق المعاني التي يؤمن بأنها معان صحيحة ومن هنا – وبالدرجة الأولى – كان الحرص على تحقيق هذا التقدم والسيطرة عليه ، والمشاركة فيه أحد الأسس الصحيحة – لكي ننشئ مجتمعا قادرا على الجهر بالحق . والالتزام به ، والدعوة إليه مقيما هذا كله على قوى بشرية واعية وقادرة – هذه القوى البشرية الواعية الفاهمة القادرة – لا توجد فجأة ولكن نتيجة لاستراتيجية تربوية إسلامية بالمعنى الذي حددناه – ولا يمكن أن تكون هذه التربية الإسلامية تربية مدرسية فحسب .

إن المدرسة الحالية في المجتمعات العربية والمسلمة ينوء كاهلها بما تحمله من أعباء ولا تستطيع أن تحمل أعباء إضافية جديدة في وضعها الحالي، كما أن للمدرسة – كأي مؤسسة – طاقة وحدودا لما تستطيعه ، وإن كانت هذه الحدود يمكنها أن تمتد بتعاون المؤسسات الأخرى ، إلا أنها تنكمش بل وتتوقع بدون التعاون والتنسيق .

التربية الإسلامية التي نتحدث عنها تربية شاملة – وتعرف حدودها أيضا فيما تستطيعه وما نحتاج فيه إلى التنسيق مع غيرها ، مثل قطاعات الصحة والاقتصاد والسياسة والتاريخ لأنها تعرف أننا إذا شئنا الدقة في التعبير فنحن لا ننمى إنسانا فقط – بل نوجهه ونقوده إلى الظروف التي يتفاعل معها فتنطلق قدراته ، وتنمو مواهبه .

والإنسان في مراحل حياته المختلفة يتجه إلى مصادر متعددة من مصادر التربية – وما المدرسة إلا أحد هذه المصادر في بعض المراحل .

وعملية التربية والتعليم – بمعنى التأثر والنمو تريدا بالحياة نفسها ، وببدء الحياة وقبل ميلاد الإنسان قد تبقى آثار ما تعرض له واضحة ممتدة .

وعندما يولد – فإن الظروف التي يولد فيها تترك بصماتها عليه ثم تكون أمه مصدره الأول ، ثم الأسرة ثم يكبر فيشارك الأقران الأسرة آثارها – حتى تصل إلى المرحلة التي لا ينبغي أن يكون نموه مستقرا على روافد محدودة مما يتلقاه بالصدفة غير المقصودة مما يلتقطه من حوله – فيحتاج إلى المدرسة – مؤسسة متخصصة تنظم وتنسق وتركز مجمل الخبرات التي يتفاعل معها منطلقا إلى مزيد من النمو .

ولكن المدرسة لا تحل محل المؤسسات الأخرى التي سبقتها – بل تعمل إلى جانبها – حتى لو تمكنت من أن تطغى عليها في ظروف معينة ، وفي جميع الحالات ، فهناك المصادر المنظمة للتربية ، والمصادر غير المنظمة .

فالإنسان منفتح ، يستقبل الآثار من كل ما يحيطه به من حياة معها – وإذا قلنا على سبيل المثال أن المصادر التربوية هي البيت والأفراد والشارع والعقيدة الشائعة والمؤسسات الإعلامية المتاحة – إلى جانب المدرسة – فهذه المصادر تتناوب في مدى تأثيرها على الإنسان وعلى المجتمع – بل إن آثارها قد تختلف بصورة ديناميكية في غاية التعقيد .

فالمدرس الجيد قد يجب (لا نقول يلغى) تأثير المدرسة بكاملها - كما قد يجب تأثير المنزل أيضا - فيملأ حياة التلميذ بصورة لا تتيسر بدونه - إلا أن مدرسا دون ذلك في الجودة - سوف يتخلى عن دوره لغيره من الأنشط بصرف النظر عن اتجاهها أو توجيهها .

ونفس الشيء بالنسبة للبيت - فبعض البيوت إنما تمثل بيئات تربوية صادقة عميقة الأثر في اتجاه سليم أو غير سليم - وبعض البيوت تترك أقل الآثار في أبنائها .

والوضع الأمثل الأصح هو التوازن بين هذه المصادر ، والتوفيق بينها لحساب التقدم ، ولكن هذا الوضع الأمثل يختلف عن الواقع في كثير من الأحايين .

المجتمعات الإسلامية

عندما تبلغ الأمية في العالم أكثر من ٨٠٪ بالمائة - فلا بد من أن ننبه إلى ظاهرة خطيرة - وهى صعوبة الاعتماد على دور البيئة ودور البيت يماثل دور البيئة والبيت في المجتمعات المسماة بالمجتمعات المتقدمة - وسيظل التكامل بين البيئة والمدرسة مفتقدا ، ولنضرب مثلا لبيئتين أحداهما بعيدة عن العمران والحياة الحديثة والأخرى بالغة التقدم فإن إلقاء محاضرة على أهالي البيئتين ينقل مفاهيم واتجاهات مختلفة أشد الاختلاف بل إن نفس الألفاظ والإيماءات لا تحمل نفس المعاني - والإنسان إنما يسبغ على ما يلتقطه ويستقبله من المعاني في ضوء الخلفية التي ينبثق منها وينحدر عنها .

وإن من الضروري أن نحدد على وجه صحيح واقعي ما تستطيع أن تقوم به البيئات التي ترتفع فيها نسبة الأمية ، ويذيع فيها التخلف الفكري والعزلة التاريخية .

واستطرادا - فإن المدرسة في مثل هذه الظروف من أعباء إضافية لا تلقى

أصلا على المدرسة في المجتمعات المتقدمة .

وهكذا تصبح المشكلة مشكلتين : مشكلة أن المدرسة بحكم انتمائها لبيئة مختلفة أقل قدرة وكفاءة عن نظيراتها في المجتمعات المتقدمة – ثم مشكلة أن المدرسة لا تتلقى من عون البيئة ما تتلقاه نظيراتها في البيئات المتقدمة – بل على العكس – فإنها كثيرا ما تجد من البيئة المقاومة والتعويق .

وواقع المجتمعات الإسلامية اليوم – واقع لا يرضى المسلم ، ولا يعين المدرسة – وهذه القضية الهامة لا بد من مجابهتها بحزم وصدق وأن يعمل حسابها في أي تخطيط سليم – لا بد من أن نتحسب لها ، ولا بد من أن نعرف في ضوء أيماننا بالهدف أن المشكلة ليست قدرا نقف عاجزين حياله – بل مشكلة إذا جابهناها عالجناها – ووجدنا لها ما نحتاجه من حلول .

وإذا اتجهنا إلى دفع المجتمع إلى التقدم والعصرية ، فلا بد من تهيئة أسباب ذلك ، وضمن هذه الوسائل قيام المدرسة العصرية التي تستطيع أن تعطى الظرف الوضعي ، أو مجموعة الظروف الموضعية التي تتيح للفرد والمجتمع أن يتقدم وينمو .

ولكن المدرسة الحديثة لا تقوم في بيئة غير حديثة – لأن المدرسة لا تكون إلا حيث تنتمي والحديث العصري لا ينتمي للتخلف غير الحديث – والمدرسة الحديثة لا توجد بقرار – ولا بد من أن يكون هناك تجاوب مستمر بين مستوى المدرسة ومستوى البيئة والمجتمع – ولا بد ينبغي أن يندهش إذا كانت المدرسة في المجتمعات المتخلفة أقل مما نريد ، ومما ينبغي أن يكون . وطبيعي ألا يكون علاج الموقف بإنكار الواقع ، ولا التورط في المكابرة أو اليأس .

كما لا ينبغي ولا نستطيع أن نترك المدرسة فريسة للبيئة وتنحدر بها إلى أسفل بجذب مستمر واستنزاف دائم – كما أننا لا نستطيع أن نفرض على البيئة المتعثرة مستويات لا تستطيع كواهلنا أن تتحملها .

ولقد قدم العصر الحديث نفسه حلولا غير تقليدية لهذا الموقف عن طريق مخترعات حديثة في تقنية التعليم ، وما يسمى بالأنشطة التعويضية التي تعوض البيئة جزئيا على الأقل عما فيها من تخلف ، بإتاحة الحد الأدنى من الخبرات التي لا بد منها لتحريك البيئة إلى الأمام ، والسماح لها بمزيد من القدرة على الاستفادة من المدرسة ، وفي نفس الوقت تخفيف الضغط الخانق عليها .

وعلى ذلك تعتبر هذه الوسائل والأساليب بعض أدوات التربية الإسلامية المعاصرة التي لا يصح التسامح في الاستفادة منها من زاوية أن التربية الإسلامية هي التربية التي تسهم بتهيئة الظروف لتحقيق إرادة الله . وفي ظل هذا الجوهر نريد أن نتجه بالتربية التي تنبثق عن الإسلام ، وتتجه إليه أن تكون معاصرة . بل إننا نخلص من هذا كله إلى أن التربية الإسلامية الآن بالضرورة تربية معاصرة وإن لم يكن العكس صحيحا .

ولا بد أذن من أن تكون معينة على تهيئة الظروف الموضعية للأفراد والمجتمع لتحقيق أهداف مجتمع المسلمين في أن يكون مجتمعا إسلاميا – مجتمعا يقبل التقدم المادي – بل يقبل عليه ، ولكنه يستخدم هذا التقدم المادي لإعطاء الحياة مقوماتها وقوامها ضمن إطارها الصحيح الذي لا يخرج بها من مجال المعنى إلى مجال العبث ، ولا يخرج بها عن الإطار الإسلامي فتصبح الحياة نفسها عبئا على المسلم من كثرة ما يعانيه وهو يرى الحياة تفرض عليه التنازلات والحلول الوسطي فيما يراه صحيحا سليما صادقا .

التنازلات والحلول الوسطي في حياة المسلم :

وعبر قرون ماضية كان المسلم يتجه إلى أن يحيا حياة إسلامية كاملة ، وسوف تظل رغبة المسلم على فهم ما بين المسلمين من تفاوت في الإيمان والالتزام بالإسلام وسوف تظل رغبة المسلم في أن يجد ويحيا حياة إسلامية بلا تنازلات .

أقول حياة إسلامية بلا تنازلات – لأن هناك حياة إسلامية مع تنازلات – وهى الحياة الإسلامية التي لم نستطع – لسبب أو لأسباب – أن تنطلق إلى مستويات العصر – فصعب على المسلم أن تكون حياته إسلامية ، كما صعب عليه أن تكون عصرية – فلم يجد أمامه إلا الحلول الوسطي .

وإذا كان مفروضا على المسلم أن يعيش في العصر الذي وجد فيه – قابلا أو رافضا – فقد أصبح على المسلم أن يحيا حياته كمسلم – بينما كثير من قضايا الحياة أمامه معلقة فكريا ، ولكنه لا يستطيع إلا أن يتعامل معها واقعا ، فيدخل هذا ضمن ما نسميه بالتنازلات .

وصحيح أن الإسلام أباح بعض المحظورات عند الضرورة ، ولكن أن تفرض الضرورة ، وأن تشيع المحظورات – فهذه تنازلات تؤرق المسلم ، وتجعل حياته قلقه لا تطاق .

ولأن الكثير من عناصر الحياة الحديثة تستورد من الشرق والغرب ، فإن الكثير من هذه العناصر غريب عن مزاج المسلم ، كما في النظام النقدي الذي تقوم عليه التجارة والصناعة وكما في طراز العمارة الجديدة والأزياء ، وأساليب الترويح والترفيه ، وتقديم الطعام وتناوله ، وأساليب الترويح والترفيه ، وتقدم الطعام وتناوله وغير ذلك من مظاهر الثقافة الوافدة ، عظمت أو تفهت .

وكان علي المسلم – مضطرا – أن يقبل بهذا التطور في حياته مع استمرار إحساسه بالقلق يتحين الفرصة للاستقرار في حياة إسلامية بلا تنازلات .

وليس هناك ما يدل علي أن هذه حالة نهائية دائمة ، بل الأرجح أن المسلمين قادرون على تغيير الظروف ونقطة البدء هي أنفسهم .

وهذه بالدرجة الأولى مسئولية التربية ، وهى بالضرورة تربية إسلامية واضحة – تحدد مفاهيم إجرائية لعلاقة الفرد بالفرد وعلاقة الفرد بالمجتمع في إطار إسلامي من علاقة الفرد بالله عز وجل .

وضمن هذه العلاقات تكون كل الأنشطة والتفاعلات الإنسانية والاجتماعية والمجتمعية – كما يصبح هدف الفرد – تحقيق ذلك – أي أن تحقيق حياة عصرية تكون التكنولوجيا والعلوم في خدمتها ، وفى ركابها – ولكن في إطار من الإيمان والهدف الأسمى – فلا تكون التكنولوجيا أو ثمارها أهداف الإنسان – بل وسائله لتحقيق ما أمر به الله من كرامة الإنسان وشعوره بمسئوليته وقدرته على حمل الأمانة التي قبلها الإنسان .

وسوف تكون أدوات التربية كل المخترعات الحديثة – سواء في التقنية أو النظريات العلمية التي تعين الإنسان علي معرفة أعمق وأرسخ ، أو تعين على القدرة على التعامل أو فهم نظريات الاتصال ، أو تعين على استخدام وسائل أكثر إيضاحا ، وأكثر بيانا بما يسمح للصغير والكبير أن ينطلق إلى مزيد من النمو ومزيد من القدرة على موقاة التحديات كما ينبغي أن نضيف – أن المفكر المسلم لا بد من أن يلاحظ أن حركة الحياة الحديثة ليست نمطا طارئا يستمر بعض الوقت ثم تستقر الأمور – فالأرجح أن الأمور لو استقرت فسوف تستقر على الحركة والتغيير – وإننا لقادرون علي مجابهة هذه التغيرات والمستحدثات المتجددة بوسائل إسلامية في أصولها دائما – كيفما كانت أشكالها .

وبهذا المعنى تستطيع الحركة الإسلامية عن طريق التربية الإسلامية ، وعن طريق التراكيب والتنظيمات المجتمعية الإسلامية أن تنطلق باستمرار – ويكون هذا هو المعنى الصحيح لكلمة أو شعار (أن الإسلام نظام حياة يصلح لكل مجتمع ولكل جيل) .

إن التربية الإسلامية ترتكز على دراسة القرآن الكريم ،وسنة الرسول ، وتقوم على فهم التاريخ الإسلامي وتمحيصه ، إنها التربية التي تنسق بين الجذور التي ترتكز عليها وتصدر عنها ، وبين دراسات العلوم الحديثة كلها أو ما يسمونه بسنن الله الكونية ، وتوفق بين القيام بالبحث العلمي في كافة ميادينه ، والإسهام

في المخترعات العلمية كلها ، والمشاركة في إحداث التقدم فيها وأساليب استغلالها ، وأساليب زيادة كفاءتها ، والتدريب عليها ، والاستفادة منها .

كل هذا في إطار المعرفة الحقيقية بأهمية العصر ولقد أقسم الله به { وَٱلۡعَصۡرِ ۝ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝ } (العصر ١:٣) .

وفي إطار ذكر الله الدائم والاستعانة به { وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ۝ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ۝ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ } (الزخرف٣٦:٣٨) .

وذكر الله الدائم كفيل بألا ننسى بأننا على الأرض لنعبده سبحانه وتعالى {وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ } (الذاريات : ٥٦) .

دور الجامعات في الوطن العربي والإسلامي :

يلاحظ المفكرون أن الأمة العظيمة لا تحيا في الماضي ولا تحيا في الحاضر ولا تحيا في المستقبل وإنما تحيا ويعد الزمن صفحة مفتوحة – تحيا في الماضي بجذورها وتحيا في الحاضر بمعاشها وتحيا في المستقبل بتطلعها ، ولا تستطيع ونحن أمة عظيمة أن تحيا فبهذا كله إذا استطعنا أن ننسى أو نتناسى التاريخ – وليس التاريخ أحداث الماضي وإنما التاريخ دروس وعبر الحاضر مواضع أقدام – إنما الحاضر كل ما هو قائم في ضوء ما كان ، وكل ما سوف يكون في ضوء ما هو قائم الآن .

والسؤال الصعب الذي لا بد وأن نوجهه لأنفسنا هو كيف ننجح في الجامعة؟ وأقول السؤال الصعب لأني لا أتحدث عن النجاح بمعنى الحصول

على تقديرات وإنما أتحدث عن نجاح الجامعة نفسها إن دخول الطلاب الجامعة وحصولهم على مجموعة من التقديرات العالية والشهادات لا يعنى نهاية المطاف فقد ينجح الطالب ولا تنجح الجامعة وعند ذلك يفقد نجاح الطالب كل معنى له

إن الأشياء تستمد قيمتها من مغزاها ومعناها ، وإن الأشياء تستمد معانيها من قيمها ، وإن الشهادة إنما تستمد قيمتها مما تعنيه وان النجاح إنما يستمد قيمته مما يعنيه وان المال والثروة والمجد والسلطان –هذه الأشياء كلها التي نتمناها – إنما تستمد قيمها من معانيها – ومعاني الأشياء علم كبير لأن معاني الأشياء ترتبط بالقضايا بالأفراد بالأشخاص بالمجتمع .

ولكي أتحدث عن الجامعة ؟ وكيف تنجح ؟ وكيف تقصر ؟ عن النجاح فإنني أقف هنيهة لأقول :

ما الجامعة ؟ وما قيمتها ؟ وما وظيفتها ؟ وهل وظيفة جامعة قطر مثلا هي وظيفة جامعة في بريطانيا.

إن أشهر مهام الجامعة أنها تخرج الخريجين ولكن هذا ليس أهم مهام الجامعة، إن الجامعة لها مهام أخرى مرتبطة بمهمة المجتمع نفسه – هذا المجتمع ماذا يريد؟ وأين يتحرك؟ وكيف يتحرك؟ هل يتحرك وحده أم يتحرك وبجانبه مجتمعات أخرى بعضها سبق وبعضها تخلف؟ بعضها تجاوب وبعضها توقف – هل نحن وحدنا على هذه الأرض أم أن معنا على هذه الأرض آخرون؟ هل نحن على هذه الأرض وهذا منتهى الحياة؟ أم أن الحياة تتبعها حياة أخرى؟ هل هناك فرق في تطور مهمة المجتمع ومهمة الفرد على المجتمع؟ ومفهوم النجاح ومفهوم المجد ومفهوم العظمة بالنسبة لفرد يرى أن حياته على الأرض هي نهاية المطاف وفرد آخر يرى أن هناك حياة أخرى يحاسب فيها.

هل نحن أصحاب رسالة ؟ وما هي هذه الرسالة ؟ هل الإنسانية المعاصرة سعيدة وإذا كان البشر في مشارق الأرض ومغاربها حيارى ، وإذا كانت هذه

النجاحات التي يحققها الشرق والغرب والشمال والجنوب لم تحقق لهم السعادة ، فما الذي نستطيع أن نعطيه لأنفسنا ثم نستطيع أن نقدمه للآخرين والذي يدونه سوف نظل على هامش الحياة؟ نحن أصحاب كراسة وأصحاب مجد ولا أقول : كنا لأن حضارة الإسلام لم تكن صفحة من التاريخ طويت واندثرت نحن الآن وغدا وكنا فالأمم العظيمة هي الأمم الحية ، وان معنى الحياة نفسه أننا كنا رمزا إلى الماضي وإلى الحاضر وإلى المستقبل – وبدون التنبه لهذه الأشياء ولحركة التاريخ والتطلع إلى المستقبل فإن الحياة تفقد معناها ونصبح على هامش الحياة – وعندما نكون على هامش الحياة فلا يهم ما الذي ننتظره من الجامعة ؟ لا يهم ما الجامعة ؟ لا يهم ما النجاح ؟ لا يهم ما المجد ؟

عندما نسأل ما الذي ننتظره من الجامعة فمعنى ذلك أننا ناس لنا قيمة ولا تكون لنا قيمة إلا لأن لنا معنى إلا لأن لنا أبعاد إلا لأننا أمة لها معنى إلا لأننا أصحاب رسالة إلا لأننا نستطيع أن نمتلىء بالثقة وعندما نتحدث عن أننا مسلمون فإن كلمة الإسلام ليست شعارا يرفع وليست كلمة تقال وليست وثيقة تعرض في المزاد ليتحصل بها على كسب إنما نقصد بها حديثا صامتا مستمرا بيني كفرد وبين الله عز وجل -بينك كفرد وبين الله عز وجل- حديث لا يسمعه أحد

فلنتناول أبعاد الحاضر التي يتحرك فيها المجتمع العربي – أبعاد الحاضر الذي نجد الآن أنفسنا فيه إننا أصحاب عقيدة إسلامية وإذا كنا لا نعرف هذه العقيدة على وجه التحديد وعلى وجه اليقين فإنها مهمتنا نحن وليست مهمة أي طرف آخر أن يتعرف عليها وفي الحديث الشريف (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) وإذا كنا نحن في هذه الحالة رعية فنحن رعاة أيضا ، إن عقيدتنا هي الإسلام ولكننا نعيش على أرض العرب ، نعم نحن عرب ، فما معنى كلمة عرب في العصر الحاضر ؟ العرب في العصر الحاضر يعيشون في وسط الكرة الأرضية – على بقعة من الأرض تمتد بالطائرة النفاثة على مسافة ثماني ساعات

بالطيران المتواصل – بقعة من الأرض تمتد من الخليج وحتى المحيط الأطلنطي ، وهى ليست بقعة شاسعة فقط ولكنها أيضا بقعة ثرية ، وأن ثراء هذه الأرض بما عليها من الخيرات يفوق ثراؤها بما في باطنها من الخيرات – وهى تكاد تكون أعظم خيرات العصر – من ناحية الخيرات فلقد أعطانا الله تعالى كل شيء ولكن هذه الخيرات لها معنى : إن هذه الخيرات إما أن تكون من معاني القوة وإما أن تكون معنى من المعاني التي تؤدى بالآخرين إلى الطمع فينا ولقد انتقد السناتور الأمريكي فول برايت العرب مرة لكثرة مباهاتهم بما لديهم من الخيرات فقال : ما لهم يباهون بما لديهم وهم بما لديهم كالغزلان يباهون الذئاب بطيب لحومها؟

فقد شبهنا – في محضر الذئاب – بالغزلان تباهي بما لديها بطيب لحومها – ولا يمكن أن يحمل هذا المعنى إلا إغراء الآخرين فينا .

ولكن القضية فيها مجموعة من الأبعاد فنحن لا نستطيع أن نعيش إلا في القرن العشرين والقرن العشرون قرن له معنى من ناحية العلم ومن ناحية التقنية ومن ناحية النظام الاجتماعي ومن ناحية التطلعات – هذه الأشياء كلها إما أن تكون قادرين على استيعابها كمعاني ، وبالتالي قادرين على المشاركة فيها ثم الإمساك بأعنتها أو أن نكون تابعين وليس هناك شيء آخر – وهذا هو الذي تنتظره الجامعة من أبنائها – هل تخرج الجامعة من أبنائها أفرادا تابعين أم تخرج الجامعة أمة ؟

إذا كانت الجامعة تخرج تابعين فإن المجتمع ليس في حاجة إلى هذا النمط من الجامعات – أما إذا كانت الجامعات تخرج أمة تخرج مجتمعا تخرج فئة أو فئات – تخرج قطاعا من القادرين على التحرك في القرن العشرين والإمساك بأعنته – فهذا هو ما ننتظره من الجامعة .

الجامعة إذن تنتظر من أبنائها مجموعة من الصفات والخصال :

أما الصفة الأولى فهي : الإنسان القادر على معرفة نفسه – القادر على الثقة

بنفسه كيف يستطيع أن يتحمل مسئولية ؟ كيف يستطيع أن يتحمل القدرة على الحركة المستمرة إلى الأمام ؟

هذا الفرد يحيا في الجامعة ضمن مجتمع جامعي – هذا المجتمع الجامعي لكي يكون ناجح فيه لا بد وأن تكون فيه مجموعة من القدرات – القدرة على التعامل مع الآخرين والقدرة على التعامل مع النفس .

أما القادر على التعامل مع الآخرين – فهو الشخص الذي يستطيع أن يعطى ويأخذ – ولا يستطيع الإنسان أن يستغنى عن الأخذ – ولكي يكون الأخذ بكرامة فلا بد وأن نعطى وأن يكون العطاء بسخاء وما لم يستطع الإنسان أن يتعامل مع الآخرين فسوف يظل فردا، وفى المجتمعات الحديثة لا حياة للأفراد، وعندما ما أقول لا حياة للأفراد أقصد هذا الصنف من الأفراد الذين لا ينشغلون إلا بتوافه الأمور هؤلاء الذين لا يعيشون إلا على حافة الحياة ، هؤلاء الأفراد الذين إذا طالت أعمارهم أو قصرت فإنها سيان ، عاشوا أو اندثروا سيان ، لا يتركون بصمات حيثما يوجدون ولا يفتقدون حين يغيبون .

أما غير القادر على التعامل مع النفس – فهو الذي لا يستطيع أن يتعامل مع نفسه – هو إمعة – والإمعة هو الذي ينظر إلى الآخرين ليفعل ما يفعلون – الذي لا يستطيع أن يتحمل أن يكون له موقف يعلنه ولا رأى يعبر عنه – وإذا كان الإنسان لا يستطيع إلا أن يكون صدى للآخرين ولا يستطيع إلا أن يكون مرددا لما يقولون – فلا يمكن أن يكون ذا قيمة لا لنفسه ولا للآخرين .

الشاب الجامعي الذي نريده هو إنسان قادر على أن تكون عنده عقيدة – قادر على أن تكون عنده ثقه بنفسه وقدرة على التعامل مع الآخرين قادرا على أن يكون مستقلا .

والإنسان في كافة مراحل حياته ينمو ويتعلم وحتى النهاية ينمو ويتعلم – ولأن الإنسان في كافة مراحل حياته ينمو ويتعلم فهناك محوران في حياة أي

إنسان صغيرا كان أو كبيرا - محور الانطلاق ومحور الانضباط - الإنسان لا بد وأن يكون منطلقا بمعنى من المعاني - لأنه ما لم ينطلق لكي يكون تعبيره حرا متسعا ذا آفاق عريضة فإنه لا يستطيع أن يحقق لنفسه نموا بل إن الحياة تفتقد بهجتها وتفتقد معناها - لأن الإنسان حينئذ لا يستطيع أن يحقق مستقبله ولا أن يحقق ذاته - إلا أن الانطلاق وحده لا يجعل من الإنسان إنسانا قادرا على الفعل والعطاء الإيجابي - لا بد من عنصر آخر وهو الانضباط - هذا الانضباط هو الذي يجعل الإنسان يحضر في الموعد المطلوب وينجز في الموعد المطلوب ويحقق المطلوب ويعطى المطلوب ويحدد ما يطلبه من الآخرين .

هذا هو المحور بين الانطلاق والانضباط - بين الاستقلال والاعتماد على الآخرين - بين الحرية وبين الشعور بالمسئولية - بين التحرر وبين الانحلال .

تعبيران ، لا بد وأن نكون قادرين على تنميتهما بالنسبة للشاب الجامعي - بل بالنسبة لأي شاب - من هو المتحرر؟ ومن هو المنحل ؟ إن اللبس في هذه التعبيرات هو كاللبس بين الربا وبين التجارة - اللبس هنا يستند إلى أن كلا من التحرر والانحلال بهما بعض العناصر المشتركة - المتحرر والمنحل منطلقان - عنصر الاختلاف البارز الذي يجعلنا نميز بينهما هو أن المتحرر منطلق من وضع قائم إلى وضع غير ذي هدف والمتحرر رافض الخطأ ومنطلق إلى الصواب وهذا هو معنى التعبير القرآني {وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا} (الكهف٢٨) وذلك بعد قوله تعالى { وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا } وهذا هو المنحل .

المتحرر اعتراضه على الدافع أو الحاضر انطلاقا من الرغبة في التقدم والتحسين - هي البصيرة الثاقبة التي ترى الخلل وتنطلق إلى الإصلاح - أما البصيرة التي لا ترى الخلل وتستكين إلى الحاضر وإلى الواقع وترفض تغيره لمجرد الإبقاء عليه فهذا أيضا مرفوض لأنه لا يصنع الإنسان الحر ولا يصنع التقدم ولا

يصنع الكرامة – وهذا أيضا من محاور النضج المطلوب في الشباب الجامعي

الشاب الجامعي إذن لا بد وأن يتسم بهذه الصفات التي أضيف إليها الآن عنصر النضج والنضج لا يأتي مرة واحدة – والإنسان لا يتطلع إلى النضج في نفسه فجأة – بل يظل مهما عظم ومهما ظن في نفسه الخير – فيه عنصر من عناصر الطفولة – وإننا نلمس عناصر الطفولة حتى في عظماء الرجال – بل وفي العديد من المجالات – حتى عظماء رجال الفكر الحنين – بل طلب الرحمة – وهو عنصر من عناصر الطفولة والبراءة ، بل إن الإنسان كله يحتاج إلى المودة والرحمة – وهى عنصر من عناصر الضعف الإنساني الذي يتطلع إلى رحمة الآخرين وإلى رحمة الله والذي يجعل الإنسان يخشى أن يتعامل بسوء الحساب – وسوء الحساب هو الحساب الدقيق – وليس الحساب الظالم .

بالإضافة إلى هذا كله فإني أعود إلى عنصر الانضباط – وهو العنصر الهام في الجامعة لأن المتعلم يحتاج إلى الانضباط – الدرس يحتاج إلى الانضباط – النمو يحتاج إلى الانضباط – كلما صغر الطفل احتاج إلى مزيد من الانطلاق وإلى قليل من الانضباط ولذلك فإنه يحتاج إلى مزيد من الإشراف – ولإحداث التوازن الصادق – كلما كبر الإنسان – قلت حاجته إلى الإشراف وازدادت قدرته على إحداث التوازن بين الانضباط والانطلاق .

وفى الجامعة يحتاج الطالب أيضا إلى الانطلاق والانضباط – في الجامعة مزيد من الحرية ومزيد من المسئولية – أمام الشباب الجامعي خيارات أعظم ولكنه يتحمل مسئولية ذلك لأنه راع أكبر مما كان عليه – ولكي تكون الجامعة قادرة على تحديات العصر والاتصال بها – فلا بد من أن تستشعر مسئوليتها وترفض التضاؤل أمام هذه التحديات وأمام تحديات الدول العظمى ولكن الجامعة لا تتحقق بالدرس فقط – بل بالإنسان الذي يستطيع أن يقرأ الكتاب ويتفاعل مع إخوانه ويكون له رأى وقيادة – والقيادة تعنى أن يتبع الرأي

الصائب عندما يجده عند الآخرين ويفرض احترامه على الآخرين فيتبعوه عندما يكون صاحب الرأي الصائب – ليس في التفكير الجامعي ولا في الحياة الجامعية أفكار تتبع طاعة عمياء ، لكن هناك أفكار تخضع للفحص وتخضع للفكر وتخضع لمسيرة الأحرار ، الأحرار الذين يستطيعون أن يميزوا بين النافع والضار

كتاب أزمة التعليم المعاصرة وحلولها الإسلامية

للدكتور زغلول النجار

يقول : أزمة التعليم المعاصرة ظهرت آثارها العميقة في جميع المجتمعات ، وكان من مظاهرها :

الميل إلى العنف ، وفساد المجتمعات ، وخلوها من الثقافة ، والتحلل الأخلاقي – إلى جانب حالات الضيق والضياع والكبت والحيرة والأنانية والقسوة ، وغير ذلك من الأمراض النفسية والعقلية التي قد تصل بالمرء إلى حد الجنون أو القتل العمد أو الانتحار .

ترى ما أسباب هذه الأزمة ؟

سؤال يجيب عليه الأستاذ الدكتور زغلول النجار ، الذي يرى أن هذه الأزمة لها أسباب كثيرة بعضها أسباب مادية ، وبعضها أسباب اجتماعية ، وبعضها أسباب تربوية ، وبعضها أسباب نفسية ، وبعضها أسباب أخلاقية .

ترى كيف نتغلب على هذه المشكلة ؟ إن بناء الشخصية هو قضية التعليم الأولى – ويجب أن يهتم التعليم بالروح قبل الجسد ، وبالتغيير الذي يحدثه التعليم قبل الدرجة العلمية التي يمنحها له – فقدرة الإنسان على التحكم في نفسه وفي ضبط تصرفاته ، واعتقاده في قيم أخلاقية والتزامه بها ، وإيمانه بمثل عليا يحيا لها ويموت في سبيلها ، هي العوامل الأساسية التي تحدد سلوكه ، وبالتالي تحدد فلسفة التربية التي يقوم بها أو يتعرض لها .

إن العامل الرئيسي في التربية هو (الإنسان) ، فإن صلح فكره وأهدافه وفلسفته في الحياة ، صلح ما يصدر عنه لأجهزة المدنية الحديثة ، وإن فسد فسدت معه تلك الأجهزة وبناياتها .

ويلاحظ أن الوظيفة الاجتماعية للتربية معقدة غاية التعقيد ، فإن كان للمجتمع فلسفة واضحة للحياة وتصور سليم لدور الإنسان فيها ، فإن ذلك ينعكس في فلسفة تربوية سليمة .

كما يلاحظ أن نظم التعليم المعاصر نظم إعلامية علمانية ، وبذلك قصرت دورها على نقل المعلومات واهتمام الطلاب بالحصول على الشهادة فقط .

فقدان الأسوة الحسنة :

والتعليم بوساطة الأسوة الحسنة هو أنجح الوسائل التعليمية .

فقدان التربية الأخلاقية :

القيم الأخلاقية اللازمة لحياة كريمة أصبحت مفقودة ، والتحلل الأخلاقي يقف وراء أزمة التعليم المعاصرة ، كما يقف وراء أزمات العالم المختلفة ، والعلم التجريبي وحده يفشل دائما في مواجهة التحديات الأخلاقية ، ويفسد رسالة العلم النبيلة ويؤدى إلى شفاء الإنسان ومعاناته ، وقد أصبحت المادة غاية لا وسيلة ، والتربية الصالحة تحتاج إلى العلم النافع الذي يدعمه الإيمان الشامل الذي يصدقه العمل ، وإلى العمل الصالح المنظم الذي يحيطه الخلق الكريم ، وبذلك يضيء العلم حياة الإنسان ، والله سبحانه وتعالى يقول : { إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ } (آل عمران :١٩) .

ومن سوء حظ الإنسانية في هذا العصر أن العالم الإسلامي قد تعرض إلى شيء من التمزق في القرنين الأخيرين بصفة عامة ، وحاول الاستعمار طمس معالم الإسلام وإبعاد المسلمين عن دينهم الصحيح ، فتفشت اللادينية ، إما عن

جهل أو عن فساد أو عن انقياد للشهوات .. والمنهج الرباني مطابق للفطرة الإنسانية ، لأنه من صنع الله تعالى خالق الإنسان ، والله تعالى هو العليم بخلقه وبطبائعهم وبأفضل الوسائل لتربيتهم . وقد بعث رسوله ﷺ ليزكيهم و يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب و الحكمة و يعلمهم ما لم يكونوا يعلمون .

والعملية التربوية في الإسلام عملية متكاملة يهتم فيها بالسلوك الشخصي والالتزام بالآداب الخاصة والعامة ، وتقوم على أساس أن وراء المادة غيبا ، ومن وراء الدنيا الفانية حياة أخرى خالدة ، والله تعالى يجرى الأرزاق و يحيى ويميت ، وقد وضع نواميس الكون وجعل كل شيء فيه بمقدار ، ومنح الإنسان عقلا يحكم به على الأمور ويميز به الخبيث من الطيب ويختار ما يريد – ثم يكافئ المحسن على إحسانه ويعاقب المسيء على إساءته ، ويمتاز الإسلام بالتوحيد والشمول والدعوة إلى التسامي وإلى مراقبة السلوك ومحاسبة النفس .

وفلسفة التربية في الإسلام :

تقوم على التصور الإسلامي الصحيح للإنسان والكون والحياة ، ولمعنى ألوهية الله سبحانه وتعالى ، فالإنسان مستخلف في الأرض، خلقه الله من طين ونفخ فيه من روحه وعلمه من علمه وأمر الملائكة بالسجود له وفضله على كثير من مخلوقاته، والإنسان الفرد عضو في جماعة تشمل الإنسانية كلها، وهو مرتبط بهذه الجماعات كلها ارتباطا عريقا، ولذلك فإن التربية لا بد وأن تكون إنسانية ، يستشعر الفرد فيها بالأخوة الإنسانية ويحافظ عليها ، ومصدر المعرفة الإنسانية الوحي السماوي المنزل ، والعلم المكتسب ، والتراث البشري .

والكون للمسلم هو كتاب الله المنظور، يرى فيه عظمة الخالق سبحانه وتعالى ودقة البناء وانتظام الحركة وإتقان الصنعة؛ والعبادة تعنى: السعي في عمران الحياة والسعي في طلب العلم ، والعدل بين الناس وتحقيق منهج الخالق سبحانه وتعالى .

والإيمان الراسخ يصدقه العمل الصالح الذي يجعل النفس البشرية نفسا مطمئنة فالمعارف كلها تلتقي على غاية واحدة هي معرفة الله تعالى والقيام بواجبات الاستخلاف في هذه الحياة ، وهديها الكتاب والسنة ، ومجالها الكون والحياة والإنسانية ومنطلقها التصور الإسلامي الصحيح عن الإنسان والكون والحياة ، ولذلك حض الإسلام على النظر في الكون والأخذ بواجبات الخلافة في الأرض .

أسس التربية الإسلامية :

تقوم التربية في الإسلام على الأسس الآتية :

أولا : الإيمان الصادق الذي يجعل الإنسان يتصل دائما بخالقه و يأخذ منه منهاج حياته .

ثانيا : العلم النافع الشامل ، السماوي المنزل والبشري المكتسب ، والعلم النافع هو كل علم ومعرفة تزيد الإنسان صلة بالله وتمكنه من القيام بواجبات خلافته في الأرض وعمران الحياة فيها وإقامة العدل الالهي بين الناس جميعا ، وهو مرتبط بالأخلاق الفاضلة ، وليس منه القنابل الذرية والجرثومية ولا أجهزة التجسس والتصنت لكشف عورات الناس ، ولا المليارات التي تنفق في التسلح بينما الناس يموتون جوعا ، ولذلك حض القرآن الكريم علي النظر والتفكر والتدبر في كل نواحي الوجود ، وقدم للإنسانية دستورا أخلاقيا شاملا تنظمه نظرية توضح كل العناصر الضرورية اللازمة لتكوين فكرة دقيقة عن الطريق الذي يتصور به معنى الأخلاق ، وعمدها (الالتزام ، المسؤولية ، الجزاء ، النية ، الجهد) ، وذلك يؤدى إلى تربية الإنسان الصالح ، لا المواطن الصالح .

والإنسان الصالح هو الذي يعرف ربه ويعبده حق عبادته ، ويعرف نفسه خليفة لله في الأرض ، ويعرف تفاصيل رسالته في الحدود التي وضعها الله تعالى له ، فيقوم بها حق قيام ، ويؤمن بأن ذلك كله يستلزم علما بالكون ، ما فيه ومن

فيه ، ودراية بأساليب عمران الحياة وازدهارها ، فيعمل على دراسة الإنسان بكل جوانبه وعلى دراسة الحيوان والنبات والكون بكل أحواله ، وذلك يحتاج إلى التخصص كل حسب ميوله ، كما يحتاج إلى التربية الشاملة التي تعده لذلك ، وذلك يحتاج أيضا إلى :

- الاهتمام بالتربية قبل المدرسة ، فالطفل يخضع في سلوكه لتكوينه الداخلي وصفاته الموروثة ، وللعوامل الخارجية في البيئة المحيطة به .
- والاهتمام بمراكز تحفيظ القرآن الكريم والعمل على نشرها في مختلف المجتمعات الإسلامية.
- وإلى الاهتمام برجال التربية ، والدعوة إلى المبالغة في تقديرهم ، والاهتمام بمعاهد التربية والعمل على نشرها ، وبناء النظم التربوية على أساس من الشمول والاستمرارية ، وعدم الفصل بين المعارف حتى لا تعزل العلوم الدينية عن ركب الحياة ومشاكلها وتطورها وإعادة صياغتها حسب التصور الإسلامي الصحيح .
- جعل المحور الحقيقي للعملية التربوية هو الإنسان ، بوصفه مستخلفا لله في الأرض ، والإنسان هنا مقصود بطرفيه في العملية التعليمية : المربي والمتربي . فالمربِّي لا بد وأن يتحقق فيه : الإيمان ، والعلم ، والخلق ، والعمل . والمربَّي لا بد وأن يكون فيه الرغبة في التعلم والتفاهم ، والمحبة والثقة وخشية الله تعالى ، والشعور بقدسية العملية التعليمة وحسابها في عداد الأعمال التعبدية .
- والعمل على جعل التعليم عملية ذاتية حرة غير مقيدة بمناهج محددة .
- والعمل على الفصل بين الجنسين في مراحل التربية المختلفة .
- والعمل على إقامة مؤسسات تربوية إسلامية شاملة بجهود شعبية في جميع المراحل .

- والعمل على وقف المدارس التبشيرية والنشاط التبشيري في العالم الإسلامي فذلك سبب الكثير من المآسي في العالم الإسلامي ، لأن مهمة النشاط التبشيري هي إبعاد الناس عن الإسلام .
- والعمل على أن يكون التعليم في مختلف مراحله باللغة العربية والاستفادة من كل التجارب البشرية في مجال التربية .
- والاهتمام بالتربية العسكرية للذكور وبالتمريض والتربية المنزلية للفتيات
- والعمل على إحياء رسالة المسجد ، ليكون مكانا للعبادة ومدرسة وجامعة شعبية مفتوحة ، ومجلسا للشورى ، ومنتدى إسلاميا ، ومقرا للقضاء ، ومركزا تنطلق منه الجيوش ، ودارا للضيافة ، ومركزا إعلاميا ، وملجأ لمن لا ملجأ له .
- والعمل على إقامة المجتمع الإسلامي بكل سماته ، ونشر العلم ، والترقي بالإنسانية في مدارج الكمال البشري ، وفي إقامة المجتمع الإسلامي تحقيقا للنموذج الذي يحتاج الناس إلى رؤيته واقعا حيا بينهم يمكن أن يقتدوا به ويقتفوا أثره . والسير على منهاج التربية في الأساليب ، وهى تتميز بالتعدد والتنوع في شمول معجز وتكامل دقيق وتوازن محكم وإيجابية سوية ومثالية واقعية ، وربط المسلم في كل ذلك بخالقه سبحانه وتعالى .
- وتدريب العقل على الاستدلال ، باستخدام المنطق والمحاكمة العقلية ، وعلى المنهج العلمي المبني على الملاحظة والاستنتاج ، واستخدام ذلك في التعرف على نواميس الكون وتسخيرها في عمران الحياة على الأرض وازدهار ، واستخدام نتائج العلوم الحديثة في تأكد حاجة الإنسان والكون إلى خالق عظيم ، وإلى رعايته لهذا الكون ، ما فيه ومن فيه .
- ووصل الناس بالخالق سبحانه وتعالى وإزالة العوائق التي يمكن أن تحول دون ذلك بالدعوة المستمرة إلى طريقه بالحكمة والموعظة الحسنة ، سيرا

على درب الأنبياء وإقتداء بهم ، والعمل على تطهير المجتمعات الإنسانية من كل ما يمكن أن يحول دون ذلك .

ولا بد من بلورة النظرية للتربية وتشجيع التأليف والترجمة والنشر في موضوعات هذه المناهج ، ووضع خطة زمنية للقضاء على الأمية في العالم الإسلامي ، وتطوير أساليب التربية المعاصرة في إطار من التصور الإسلامي الشامل ، وتيسير تدريس اللغة العربية للمسلمين غير العرب ، وإصدار دائرة معارف إسلامية شاملة ودورية إسلامية شهرية ، وإقامة نماذج للمعاهد التربوية ، وتكوين اتحاد عالمي للتربويين الإسلاميين يكون له مقر دائم وفروع في مختلف العواصم .

بذلك يمكن أن نتغلب على أزمة التعليم المعاصر في البلاد الإسلامية ، ونبدأ الخطوات السليمة في الطريق الصحيح ، فنستطيع أن نؤدي وظيفتنا في هذه الحياة طبقا لمنهج الله ، فنفوز برضوان الله تعالى في الدنيا والآخرة ، ونخرج الناس من الظلمات إلى النور . { وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ } (يونس٤٢-٤٤) .

كتاب المحاور الخمسة في القرآن الكريم

لفضيلة الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى

يظن كثير من المسلمين أن الإسلام ما هو إلا شعائر – وما دام المسلم يؤديها فقد أدى ما عليه مع أن الشعائر ما هي إلا أركان الإسلام فهو البناء العظيم الذي يؤدي وظيفته في المجتمعات البشرية على امتداد الزمان والمكان .

وحتى الشعائر المؤداه إذا لم تكن مستوفية لكل متطلباتها فلا يمكن أن تفيد

المسلم الفائدة المنتظرة .

وقديما من بعض الأعراب على رسول الله ﷺ بأنهم أمنوا ولم يحاربوه وطلبوا نصيبهم من الغنائم فبين لهم القرآن حقيقة وضعهم وقال لهم { ۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤} (الحجرات١٤) وذلك يدل على فهم سطحي للإسلام ذلك لأن الإسلام في حقيقته هو إسلام الوجه والقلب لله رب العالمين وبذلك يصير المسلم مؤمنا والمؤمنون هم الذين تتحقق فيهم حقائق وضحتها الآية الكريمة { إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ } (الحجرات ١٥) وقد لمس فضيلة الشيخ محمد الغزالي في مسلمي العصر الحاضر في كثير من البلاد هذا الفهم السطحي لمعنى الإسلام فكتب كتابه (المحاور الخمسة في القرآن الكريم) وبين الأسس التي يقوم على أساسها إعداد المسلم إعداد كاملا لوظيفته في الحياة باعتباره خليفة في الأرض يدعو إلى الله على بصيرة ويجاهد في سبيل الله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ولتكون الحياة البشرية قائمة على منهج الخالق سبحانه وتعالى والمحاور الخمسة هي الله الواحد والكون الدال على خالقه والقصص القرآني والبعث والجزاء وميدان التربية والتشريع .

الله الواحد :

يقول شيخنا إن عبادة العابدين لا تزيد في ملكه شيئا وكفر الكافرين لا ينقص من ملكه فالإيمان بالله وحده وعبادته وحده هي فائدة للمؤمنين .

وحواس الإنسان ما فائدتها إذا كان الإنسان لا يستفيد منها ؟ وهذا حال الغافلين الذين يصيحون كالأنعام بل هم أضل لأن الأنعام قد تستفيد استفادة

تبقى على حياتها – ولذلك فإن ذلك نصيب الغافلين الذين لا يفقهون الحق بقلوبهم ولا يبصرون دلائل قدره الله بأعينهم ولا يسمعون المواعظ سماع تدبر واتعاظ بآذانهم فهم كالأنعام بل أضل ولذلك فإن نصيبهم جهنم يقول الله تعالى { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ } (الأعراف : ١٧٩) .

والنصارى يتحدثون عن ألوهية المسيح والمسيح ما هو إلا عبد الله ورسوله وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولذلك فإن القرآن يقولها واضحة { لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (المائدة : ١٧) .

التوحيد العملي :

التوحيد العملي يجعل اتجاه الإنسان إلى ربه وحده فيستريح باله وتهدأ نفسه لأن الإنسان تزله الحاجة فيضرع إلى من يظن قضاءها عنده ، ولكن المؤمن لا يضرع إلا لله ولا يلجأ إلا إليه ، ولقد كان النبي ﷺ يصلى ركعتي الفجر بسورة الكافرون وسورة الإخلاص، الأولى تحارب ترك العمل والثانية تحارب ترك العقيدة ، وعقب الصلوات كان النبي ﷺ يقول : (اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا راد لما قضيت ولا يبلغ ذا الجد منك الجد) .

والإسلام يطالب المسلم بإصلاح الباطن بأضواء التوحيد – ثم إصلاح الظاهر بالعمل في سبيل الله والاستجابة إلى كل ما طلبه رسول الله ومن ذلك أن النبي ﷺ كان يطلب من المسلمين المساواة في الصف بالصلاة لأن الله لا ينظر إلى الصف الأعوج ورب العزة يطالب المسلمين بأن يقاتلوا في سبيله صفا واحدا

حتى يحبهم { إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٌ مَّرۡصُوصٌ } (الصف : ٤)

ومعنى ذلك أن المطلوب من المسلمين التحرك بروح الجماعة كلها بحيث ينسى الفرد نفسه وهو يتعاون مع غيره على إعلاء كلمة الله وعلى القيام بحب الله وهذا هو النظام المحكم .

تري ما المقابل لهذا ؟ سؤال يجيب عليه شيخنا بقوله :

المقابل لهذا سلوك القطيع الذي ينطلق بروح الأثرة أو لطلب القيمة أو لطلب النجاة وهذا السلوك لا يظهر فيه إلا حب الحياة ولو كان على حساب الآخرين ومن هنا نجد القرآن الكريم يطالب بالإنفاق في سبيل الله وبالإحسان في كل الأعمال ويحذر المسلمين من أن عدم السير في هذا الطريق هو الهلاك {وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ} (لبقرة ١٩٥) .

الأمة الإسلامية :

الأمة الإسلامية في العصر الحاضر تزعم الارتباط بالله تعالى – ولكن هذا الزعم لا يطابق الواقع فالسلع تخرج دون مستواها المطلوب والأعمال تدار بطريقة همجية وكان ينبغي أن تكون الأمة مرتبطة بالله ارتباطا حقيقيا ونموذجا عالميا لإتمام كل نقص في المجتمع والحياة – وهذه الأدواء تفتك بالمجتمع وتنهض على تقاليد الرياء والخيلاء التي نشرن النفاق الاجتماعي الذي بنيت عليه العادات والأحكام – والله لا يحب كل من كان مختالا فخورا هؤلاء الذين يتصفون بالبخل ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما أتاحه الله من فضله قد يكون للمشتركين عذر في ذلك كله لأنهم يحتكمون إلى غير الله ويمضون في الدنيا بدون ضابط إلهي ولذلك فإن العالم الآن يقر العلاقات الجنسية في آية صورة ما

دامت برضا الأطراف وكذلك الربا والخمر وغير ذلك ولكن ما عذر المسلمين في ذلك والأمور عندهم واضحة جليسة – فالحكم لله وحده والذي لا يقر بذلك ولا يعمل به خارج عن حظيرة الإسلام والقرآن الكريم يقول : { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } (النساء :٦٥)

وإشارة إلى الأدب النفسي والأدب الاجتماعي والأدب العسكري جاء في السنة : (لا تمس النار عيناً بكت من خشية الله ولا تمس النار عيناً غضت عن محارم الله ولا تمس النار عيناً باتت تحرس في سبيل الله) وذلك كله ينبثق من عبادة التوحيد الكاملة التي توضحها الآية الكريمة { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ } (الأنعام : ١٦٢) .

هل من مذكر؟ :

صاحب الجنتين الذي ذكر في سورة الكهف أغراه ثراؤه بالكفر بالله تعالى وبالتطاول على صاحبه وبالتفاخر بأنه أكثر منه مالا وأعز نفرا – وحين دخل جنته رأى من ثمارها البالغة وجعل يظلم نفسه ويقول : ما أظن أن تبيد هذه أبدا – وما أظن الساعة قائمة وحتى لو قامت الساعة فإنه سيجد خيرا من جنته هذه – ولم يسأل نفسه سبب هذا الغرور – ونصحه صاحبه ودعاه إلى الإقرار بالخالق له من تراب ثم من نطفة ثم سواه رجلا وبين له أنه يؤمن بالله ولا يشرك به أحدا ولذلك فإن الله قد يؤتيه خيرا من جنته وطلب منه أن يغير طريقه وأن يشكر ربه على نعمه فيقول إذا رأى جنته ناضرة ما شاء الله لا قوة إلا بالله فإذا لم يفعل ذلك فإن الله قد يرسل على جنته حسبانا من السماء فتصبح أرضا ملساء لا زرع فيها ولا نبات أو لا يجد الماء الذي يرويها به فلا يستطيع أن يزرعها ولم يستجب الرجل لهذه النصائح فأحبط بثمره فهلكت وأصبح ذلك

المعجب بنفسه وولده وناله يقلب كفيه ندما وحسرة على ما أنفق في عمارتها وقد أصبحت الآن ساقطة على عروشها ويقول : يا ليتني لم أشرك بربي أحدا لقد كان يتيه بماله وولده فهو الآن لا يجد المال ولا الولد الذي ينصره ، وفي يوم القيامة الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا هذه القصة ذكرها القرآن الكريم للعظة والاعتبار والتذكر .

ومع ذلك فإن العالم الإسلامي الآن تائه في أنظاره تائه في اتجاهاته تائه في سلوكه ،

ترى ما المخرج من هذا المأزق ؟ سؤال يجيب عليه شيخنا بقوله :

الإنقاذ يكون باليقظة الإسلامية الكاملة الواعية التي تجعل التوحيد فلسفة الحياة وروح الأمة ونموذج الارتقاء المادي والأدبي لا دعوى تسيء إلى الحقيقة ، والإيمان الحقيقي بالله تعالي وعبادته المتصلة طبقا لمنهج الله تعالى يحرران الإنسان عن العبودية والخضوع لأية قوة مادية أو بشرية ومن كل العوائق الداخلية والخارجية فينطلق المسلم إلى أداء رسالته وهو يحس بالحمية والحيوية والقوة — يتجه في كل ذلك إلى الله ، والله معين له على أداتها ومتكفل برعايته وضامن لطمأنته في الدنيا وفوزه في الآخرة سواء أصاب أم أخطأ ما دامت الوجهة كلها لله والمسلم بهذا يحدد موقفه من العالم كصانع للتاريخ ومحرك له ، يقول المستشرق الفرنسي مونقيين مدير جامعة جنيف (إن الحمية من الصفات المميزة للدين الإسلامي إن المسلم عالما يحمل في جسمه أنسجة التبشير)

وهذا ما يخيف الغرب من الإسلام ويعمل بكل الطرق علي إعاقته عن أداء وظيفته بكل الطرق إن المجتمع الإسلامي يبنى لأهداف يحققها كل فرد في حياته كما يبني لما بعد الحياة .

بل إن بناءه للحياة هو بناء لما بعد الحياة أيضا ما دام المسلم يريد بعمله وجه الله تعالى ، وكل ذلك يتطلب من المسلم جهدا أكبر من جهد غيره ، وهكذا كان

المؤمنون الأوائل مما جعل بعض الكتاب يقول : (لقد حول النبي محمد ﷺ جماعة المؤمنين إلى مجتمع متحد مؤمن بالله وتحميه أعلى القيم الأخلاقية)

والعالم الذي نعيش فيه يشيع في نفوس أفراده القلق والحيرة فهو يفتقد السعادة لأنه يفتقد الأمن الداخلي والأمن الخارجي وهو في حاجة إلى نهج جديد يحقق له ما يفتقده ويجعله يحس بالاطمئنان وهذا مجال الإسلام وهذه رسالة المسلمين { وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ } (آل عمران : ١٠٤) .

والدعوة إلى الخير لابد وأن يؤمن بها الداعون إليها إيمانا عمليا وآلا كانت النتيجة عكسية ونحن الآن

نحس بحاجتنا وبحاجة العالم كله إلى الإسلام ، ولذلك فلابد وأن لصوغ أنفسنا صباغة جديدة طبقا للمحاور الخمسة في القرآن ثم نقوم بالدعوة إلى الله على بصيرة ، حينئذ نسعد المجتمع الإسلامي ونسعد البشرية كلها حينئذ نكون من الفائزين في الدنيا والآخرة .

أضواء على كتاب الطريق من هنا

لفضيلة الشيخ محمد الغزالي رحمه الله

العالم الإسلامي يحسن أن يكون ذلك الكتاب في صفحة جديدة اليوم يعيش مرحلة التخلف الذي أطمع الأقوياء فيه ، بل ألصق بالإسلام تهما كثيرة إلى جانب أن عقائد خرافية فكرت في إقصائه ووضع اليد على أتباعه – وقد نهض كثيرون من المسلمين لمعالجة هذا الانحدار وإزاحة العوائق التي تمنع التجاوب بين الأمة وبين دينها وإزالة الأسباب التي جعلت الأمة الإسلامية التي كانت طليعة العالم كله ألف عام تتراجع هائمة على وجهها وأصبحت في مؤخرة القافلة البشرية .

ولذلك ألف شيخنا رحمه الله تعالى هذا الكتاب ليبين الطريق القويم الذي يجعل المسلمين يسيرون عليه حتى ينقذوا أنفسهم وينقذوا دينهم وينقذوا البشرية كلها ..

وقد طلب من بغاة الخير أن يختلطوا بالجماهير ليرفعوا مستواها ويفكوا قيودها النفسية والفكرية سواء كانت قيودا موروثة أو قيودا أقبلت مع الاستعمار الأوربي الحديث والإسلام اليوم يعانى من أمرين :

الأول : التصور المشوش الذي يخلط بين الأصول وبين الفروع وبين التعاليم المعصومة والتطبيقات التي تحتمل الخطأ والصواب وقد يتبنى الفرد المسلم أحكاما وهمية ويدافع عنها دفاعه عن الوحي ذاته .

الثاني : الجماعات المتربصة التي تقف بعيدا دون عمل تنتظر لأعداء الله الويل والثبور وعظائم الأمور – وهى في ميدان الدعوة الإسلامية بطالة مقنعة .

الاستعمار في أفريقيا :

لقد مكن الاستعمار في أفريقيا لنفسه ووفر الضمانات لبقائه وإن جلت جنوده عن الأرض لقد فرض أولا لغته وجعلها لغة المكاتبات في الدواوين ولغة الدراسة في جميع المراحل التعليمية ولغة التخويف في البيوت والشوارع وحارب اللغة العربية ، وأخرجها عن عمد وأصبحت لغة القرآن الكريم لغة مهملة ، بل إنها أصبحت لغة منبوذة وبذلك أصبح المسلم محجوبا عن التراث الإسلامي لأنه مدون باللغة العربية وإذا قرأ عنه فإنه يقرأ ما كتبه المستشرقون والمبشرون وإلى جانب ذلك قامت حركة اقتصادية بارعة جعلت الإنتاج صناعيا أو زراعيا في أيدي الأجانب أو في أيدي العناصر الموالية لهم وأصبح الرغيف الذي يأكلونه والثوب الذي يرتدونه والمرافق التي يستخدمونها في يد أولئك المستعمرين المهرة، وأن البعد عنهم هو طريق الضياع ؛ ومشى التبشير الصليبي في ركاب الاستعمار يريد أن يضرب الإسلام الضربة المميتة ومما يساعد على ذلك : أن الثقافة

الإسلامية في اضمحلال، وأن الجماهير تعانى من الجهل والفقر والتقاليد السائدة ما أنزل الله بها من سلطان ويلاحظ أن عددا كبيرا من الدعاة الإسلاميين لم يدرسوا الميدان الذي توجهوا إليه ولا الجحود التي تنطلق منها الأفاعي .

والاستعمار الصليبي جلا عن أقطار إسلامية دون قتال لأنه كان شديد الوثوق من أن هذه الأقطار ستظل ذيولا له تستمد منه وتعتمد عليه في كل شيء في حياتها والمسلمون فقدوا الوعي ولذلك فإنهم نائمون لا يدرون ماذا يراد بهم ولا ماذا يراد منهم بينما الأمريكيون مثلا أعلنوا حالة الطوارئ لأنهم اكتشفوا أن الاتحاد السوفيتي قد سبقهم في بعض الميادين وصدر الأمر بإعادة النظر في برامج التعليم كلها وانشغلت الأمة كلها بهذه الكارثة وفي مدة قصيرة حققوا ما أرادوا وهكذا نرى أن الشعور بحدة المنافسة ووجوب السبق يوصل الإنسان إلى تحقيق الهدف الذي يريده ويلاحظ أن الأمريكيين قتلوا نصف مليون يابانى لإثبات وجودهم ورصدوا قناطير مقنطرة من الذهب لنشر الصليبية ومثلها لدعاوى اليهود وهكذا نلاحظ أنهم عادوا الإسلام بغير وعى ولا فهم للأمور ونحن لا يمكن أن نفعل مثلهم لأننا نلتزم بأمور ديننا وقيم إسلامنا ولكن الله سبحانه وتعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ولابد من أن نغير ما بأنفسنا حتى يغير الله ما بنا .

أوليس مما يلفت النظر أن طلاب العلم في مدارسنا وجامعاتنا لا يهمهم إلا النجاح في الامتحان ولو كان عن طريق الغش وأن المتفوقين علميا من أبناء المسلمين يسارعون إلى الهجرة إلى أوربا مؤجرين علمهم لمن يقدره ماديا وأدبيا .

ترى هل من الممكن أن يكون لنا مستقبل إيجابي ونحن في حالة استرخاء تام، استرخاء فكرى واسترخاء خلقي يسود حياتنا؟ وعمل الصالحات عنصر أساسي في الإسلام وفى سورة القصص شرح لأحوال الاستبداد السياسي والطغيان الاقتصادي في قصتي فرعون وقارون ثم ساق هذا القانون الحضاري

العام : { تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ } (القصص ٨٣) .

إن عناصر العدل السياسي والعدل الاجتماعي من صميم الأعمال الصالحة التي تنداح الدنيا لتشمل الدنيا كلها وحرية الحركة فيها مطلقة ويلاحظ أن العبادات البدنية تؤدى خلال غيبوبة عقلية كالقراءة بلا وعى والركوع بلا خشوع لا فائدة منها وعندما تنحط العبادات إلى هذا المستوى فإن أعمالا مدنية أخري تشتد فيها حرارة الإخلاص ويتألق فيها حسن القصد تكون أرجح عند الله تعالى وأجدى علي الحياة من تلك العبادات .

إن المسلم مكلف بإصلاح كل عمل وعمل كل صالح ، وهذا الانشطار المعيب في السلوك البشري ما هو إلا مرض طرأ على الأمة الإسلامية بسبب انحراف القرون الماضية وليس ذلك إلا ابتعادا عن منهج الإسلام والله تعالى يوضح ذلك في قوله { مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ } (النحل ٩٧).

إن أول ما أصاب النفس الإنسانية من عطب توهمها أن الصالحات ما هي إلا العبادات المروية ونسى الإنسان أن ميدان الأعمال الصالحة يستوعب حركاته وسكناته كلها ويحولها إلى قوى تدعم الخير ، لأن الصلاح تغيير نفسي وتغيير عاطفي وتغيير سلوكي في سائر شئون الحياة وذلك يجعل الإنسان يسير في طريق الكمال والرغبة في الإحسان وبذلك يسلم الإنسان وجهه لله رب العالمين ويكون مستمسكا بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها .

إن الشلل الذي أصاب أيدي المؤمنين في ساحات الإنتاج وجعل الناس يأخذون منهم ولا يعطونهم شيئا وجعلهم يتأخرون بينما يتقدم غيرهم وكان ذلك سببا يحط قدرهم بل حط دينهم معهم .

لماذا جفت ينابيع العلم؟ :

ترى ما مكانة الحسن بن الهيثم في تاريخنا ؟ وما مكانة جابر بن حيان والخوارزمي ؟

إن الراسخين في العلم ينسحبون من الحياة كما جاءوها على استحياء والله سبحانه وتعالى جعل معرفته والحفاظ على حقوقه مربوطين بدراسة الكون والتمكن فيه ، والقرآن الكريم عرفنا بالله تعالى عرض علينا ملكوته ولفتنا إلى أرضه وسمائه وجعل رسالتنا في نطاقه .

إن المخ البشري يزن كيلو جراما وربعا – وبه عشرة مليارات من الخلايا ولكل خلية غذاؤها وأجزاوها ونماؤها أو فناؤها . ترى من القائم علي إيجاد وإمداد كل خلية من الخلايا بما تحتاج إليه ؟ ومن الذي يوجهها لأداء وظيفتها الدقيقة ؟

إن العقل الإسلامي لو التزم الخط القرآني المشغول بالملاحظة والتجارب المهتم بالتنقيب عن الحقائق والجوب في آفاق الأرض والسماء لكان له شأن آخر.

والعزلة الفكرية عن الكون ما هي إلا انحراف عن الخط الإسلامي وفرار من تكاليف اليقظة الذهنية التي فرضها علينا القرآن الكريم ، بل إنها قد تكون طريق العجز عن مقاومة الباطل ومؤازرة الحق .

والعلم الذي فقدناه هو الذي فقده الجزائريون حين هبطت محاصيل الحبوب بعد الاستقلال ، وهو الذي يفقده السودانيون الذين يجوعون فوق أخصب الأرض الموجودة عندهم ، وهو الذي فقده المسلمون حين صارت على أعينهم غشاوة جعلتهم لا يحسون بما حولهم وقد حرص الغرب على أن يظل هذا العلم منقولا لا معقولا ، مجلوبا لا أصيلا حتى يظل المسلمون فقراء إليهم أبدا والصحوة الإسلامية في العصر الحاضر تحتاج إلى العلم الذي يحكم العلاقة بالقرآن الكريم وينتقل من جوه المحدود إلى الأرض والسماء وينير الأرض

ويعمرها عمارة تحقق وظيفته على هذه الأرض .

تجربة يابانية :

لقد تفوق اليابانيون في كثير من ألوان العلم والعمل واستطاعوا أن يخطو خطوات واسعة في تحقيق أهدافهم الثقافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، وقد قرر الأمريكيون أن يضعوا أيديهم على الخبرة اليابانية في عالم الالكترونيات وأن يوجهوا النشاط اليابانى إلى إنتاج أجهزة الإعلام السمعية والبصرية لتباع بأرخص الأسعار ويحتكروا ماعدا ذلك .

وفطن اليابانيون لذلك فقرروا نقل هذه الصناعة الرفيعة من طور الاستهلاك العادي إلى طور آخر أرقى وأولى وأن يحكموا قبضتهم القوية على هذه العلوم ونجحت الخطة اليابانية التي أحاطوها بالعلوم والعمل وفشل الأمريكيون وأصبحوا متخلفين في هذا الميدان .

ويقظة العالم الإسلامي تتبدد قواها في الصراع الداخلي وحكومات كثيرة تريد نظاما علمانيا وترفض استدامة الفكر الإسلامي ، ووقفت الأمة الإسلامية المسكينة بين من يمقتون الإسلام ويحاربونه وبين إسلاميين يخلطون الوحي بالخرافة والجد بالهزل وما يلفت النظر أن اليابانيين لم يخاصموا دينهم ووجهوا قدراتهم كلها لكسب معركة الحياة فكسبوها ، أوليس مما يلفت النظر أن لغتنا العربية وهى لغة القرآن الكريم تكاد تكون خالية من علوم الطب والصيدلة والأحياء ؟!

أوليس من العجب أيضا أن نزاهة الانتخابات نراها في الهند وفي أوربا وفي أمريكا ولا نجدها في البلاد الإسلامية ؟

والاستعمار الصليبي نجح في زرع البغض للإسلام وأهله وجعل القومية الهندية تنظر إلى الإسلام على أنه دين فاتح مستعمر غريب ..

إن ٣٠٪ من مسلمي العالم يعيشون في القارة الهندية وأحوالهم تجعل الإنسان

يشعر بالأسى والحزن لكثرة المآسي التي تحيط بهم في كل أنحاء الهند بما فيها باكستان وبنجلاديش .

قضية الأخلاق :

إن المسلمين مصابون بشلل عضوي في أجهزة الخلقية ، وملكات أفراده النفسية تعوقه عن الحركة الصحيحة ، وأن المجتمعات الإسلامية تشبه أحياء انقطع عنها التيار الكهربي فأصبحت غارقة في الظلام .

ولذلك فإن لابد من إزالة أسباب الخلل وإعادة الأوضاع إلي أسسها السليمة وإلي فطرة الله التي فطر الناس عليها ، والمسلمون الأوائل كانوا نماذج أخلاقية تجسد فيها الشرف والصدق والطهر والتجرد فتصدروا القافلة البشرية واليوم أصبح العالم الإسلامي يجرى وراء الشعوب الأخرى دون أن يصل إلى مستواها لأن الأخلاق ضعفت والأخلاق مجموعات متنوعة من الفضائل والتقاليد تحيا بها الأمم كما تحيا الأجسام بأجهزتها وغددها فإذا اعتلت هذه المجموعات فإننا نرى ما لا يسر في مسالك الأمة العامة والخاصة ومن الكذب في المواعيد وفي الأخبار وتحول الآداب إلى قشور وأصبح المسلمون يتميزون بالعجز الإداري وبالفشل العسكري في ميادين الحروب وقد صرح قادة اليهود بأن المكاسب التي أحرزوها كانت هدية من الانحلال العربي وضعف الأخلاق .

إن العالم الإسلامي تظهر فيه الانتخابات المزورة ورد الخطاب لعدم وجود المال المطلوب ، والكبر والجاه وينتشر الغش في الانتخابات والمباني والسلع .

لقد أوهى الاستعمار الإسلام واستبعد تأثيره في الحياة الخاصة والحياة العامة ونتج عن ذلك انهيار خلقي محزن وانتشار العصبيات الوطنية والقومية .

إن القرآن الكريم هو أساس حياتنا وفيه جميع الحقائق التي كلف المرسلون بتبليغها وهو منذ الرسالة وإلى أن تقوم الساعة مجمع العقائد والشرائع التي تكفل للناس الهدى والاستقامة وقد صانه الله تعالى من التحريف وتكفل بحفظه وسنة

محمد ﷺ ما تواتر فيها واشتهر ، وضع جدير بالثقة ، والنبي ﷺ يقول (لا حسد إلا في اثنتين رجل أتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها) البخاري .

فالإسلام بريء من التهم المعلقة به وهى أنه يرغب في الفقر ولذلك يقول الله تعالى { لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } (الحديد ١٠) .

وقد حدد القرآن الكريم رسالة الأمة الإسلامية بقوله تعالى : { وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ } (آل عمران ١٠٤)

ولابد من أن تقدم الأمة من نفسها نموذجا حيا وأسوة حسنة لما تدعو إليه ، ولابد من أن تكون الأمة الإسلامية حارسة للشرف مترفعة عن الدنايا متواصية بالمرحمة منظور إليها محليا وعالميا لأنها نصيرة المظلوم ومجيرة المستضعف لأن الله تعالى قد أوحى إلى هذه الأمة فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والخشوع إلى الله تعالى – وهذه الأهداف نسيها الكثيرون من المسلمين ولم يكلفوا أنفسهم محو الشبهات التي أثيرت عمدا حول مقاصد الإسلام .

إن الخاصية الأولى للأمة الخاتمة أنها غيورة على الحقيقة ولا تسكت عن نصيحة ولا عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولكن إذا ما ابتليت هذه الأمة بسلطات تكمم الأفواه فماذا تكون النتيجة ؟.

ومن الملاحظ أن الحكم الاستبدادي ظهر في شكل تنظيمات دستورية والوظيفة الأولى لدولة الإسلام أن ترى الأمم الأخرى آفاق الخير مشرقة في حياتها هي وفي أخلاقها وتقاليدها وعاداتها ومعاملاتها وآدابها وفنونها وأسواقها

إن الخلافة التركية بدأت بداية حسنة خدمت الإسلام ثم انتقلت إليهم علل

الخلافة العربية فضاعوا تحت الشعارات التي تعد محمدا بطلا قوميا وأمام زحف الملل والفلسفات الأخرى التي خلا لها الجو تناست وظيفتها الأصلية .

إن من واجب الدولة الإسلامية ضبط العلاقات الجنسية داخل إطارها الصحيح لأن النفاق الاجتماعي وتقاليد الآباء جعلا من عقد الزواج شيئا صعب الظهور – ولابد من تجديد علوم الدين وتبصير طلابه بالحقائق الأساسية ولابد من تجاوز الخلافات الجزئية والعناية بالتربية ومحو الخصومات القائمة حتى يتحقق لهذه الأمة القدرة على أداء وظيفتها والله سبحانه وتعالى وضح ذلك توضيحا كاملا في قوله تعالى { لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا * وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا } (النساء١٢٣-١٢٥) .

وعلى المسلمين أن يسيروا على هذا النهج حتى ينقذوا أنفسهم وينقذوا هذا العالم الحائر ولمثل هذه فليعمل العاملون .

أضواء على كتاب كيف نتعامل مع القرآن ؟

لفضيلة الشيخ محمد الغزالي رحمه الله

المسلمون في العصر الحديث يبلغ تعدادهم مليارا ومائة مليون بنسبة ٢٧٪ وثلاثمائة من سكان العالم ولكنهم في موازين العالم لا يساوون شيئا فالأمم تتداعى عليهم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها فهم مع كثرتهم غثاء كغثاء السيل وقد نزع الله سبحانه وتعالى من قلوب أعدائهم المهابة منهم وقذف في قلوبهم الوهن والوهن هو (حب الدنيا وكراهية الموت) كما تنبأ بذلك رسول الله ﷺ

منذ أربعة عشر قرنا .

ترى كيف يكون الخروج من هذا المأزق ؟

لقد فكر في هذا جماعة من علماء المسلمين المخلصين ومنهم الداعية الإسلامي الكبير الشيخ محمد الغزالي وأنشئوا المعهد العالمي للفكر الإسلامي بهدف جعل القرآن الكريم المصدر الأول والأهم للمسلم المعاصر ليستقى منه العلم والمعرفة الدقيقة السليمة في نظرته إلى الإنسان والحياة والوجود في الفطرة الإنسانية والاجتماعية في قضايا الفرد والأسرة والمجتمع والعلاقات والنظم وتأصيل منهج السنة والسيرة النبوية وسبل الاستفادة منهما في بناء الثقافة والحضارة الإسلامية المعاصرة واستيعاب التراث الإسلامي وفهم مناهجه وتوظيف الصالح الايجابي منه في بناء ثقافتنا الإسلامية المعاصرة واستفادة العبر والدروس من قضاياه والتنبيه إلى سلبيات ومعرفة الفكر الغربي المعاصر وآليات فهمه ورسائل استخدامه والاستفادة من الصالح منه والتنبية إلى جذوره ومصادره ونبذ سلبياته وبناء منهج للتعامل مع ذلك كله كما قال الأستاذ طه العلواني رئيس المعهد .

وفضيلة الشيخ محمد الغزالي رحمه الله يحمل الدعوة منذ أكثر من خمسين عاما وما أكثر ما كتب عن هموم داعية والحق المر وخلق المسلم مؤملا أن يستجيب المسلمون إلى الإسلام استجابة كاملة حتى يعيدوا إلى الإسلام مجده وإلى المسلمين عزتهم وكرامتهم ويرضى عنهم ربهم في الدنيا والآخرة .

وقد أجرى هذه المدارسة المفكر المسلم الذي يحمل أيضا هموم الدعوة والذي رأس مجلة الأمة القطرية طوال مدة صدورها فكان عطاؤه متميزا وغيرته واضحة ويقول :(لقد انتهت إلى الرسول محمد ﷺ أصول الرسالات السماوية جميعا وتجمعت لرسالته تجربة النبوة من لدن أدم عليه السلام فحمل القرآن بين دفتيه الشهود التاريخي بما قص به من أخبار الأمم السابقة والشهود الحضاري بما

تجسد من سيرة الرسول ﷺ وتمثل في خير القرون والشهود المستقبلي بما أصل من قواعد ووضع من معالم وكلف من نظر وتدبر في سنن الله في الأنفس والآفاق التي هي السبيل للتمكين في الأرض والقيام بالشهادة على الناس والقيادة لهم . ثم أن واقع المسلمين اليوم مع القرآن مؤرق وعلاقتهم به يحتمها الهجر والعقوق وظهرت فيهم علل الأمم السابقة التي حذر منها القرآن ونبه إليها الرسول .

الأمية العقلية :

يقول الله تعالى { وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ } (البقرة : ٧٨)

أي لا يعلمون الكتاب إلا تأويلا وترتيلا وبذلك تسربت الأمية العقلية وسادت الأمة في حال التقليد والغياب الحضاري والعجز عن تدبر القرآن والتعامل مع الأحداث واتخاذ المواقف واكتشاف سنن الله في الأنفس والآفاق وحسن تسخيرها .

إننا نعيش اليوم الأمية العقلية مع القرآن الكريم والتي تعنى ذهاب العلم على الرغم من تقدم فنون الطباعة ورسائل النشر وتقنيات التسجيل .

وقد تكون مشكلة المسلمين اليوم كلها في منهج الفهم الموصل إلى التدبر وكسر الأقفال من علي العقول والقلوب وتجديد الاستجابة وتحديد وسيلتها ليكون في مستوى القرآن ومستوى العصر ويحققوا الشهود الحضاري ويتخلصوا من الحال التي استنكرها القرآن الكريم : { أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ } (محمد : ٢٤) .

إن المشكلة تكمن في افتقاد وسائل الفهم الصحيح وأدوات التوصيل وكيفية التعامل مع القرآن (أي منهج القرآن والسنة) .

والجهود – اليوم – يجب أن تنصب علي منهج الفهم وإعادة فحص واختبار المناهج القائمة التي أورثتنا ما نحن عليه والتحرر من تقديس الابنيه الفكرية الاجتهادية التي انحدرت إلينا من موروثات الآباء والأجداد والمناخ الثقافي الذي يحيط بنا منذ الطفولة ويتسرب إلى عقولنا فيشكلها بطريقة التفاعل الاجتماعي الأمر الذي أدي إلى انكماش الفكر والرؤية القرآنية في واقع حياتنا وتحول القرآن من مراكز الحضارة وصناعة الحياة إلى الركود والتحنط في بطون التاريخ التي تشكلت في عصور التخلف والتقليد والتي حالت دون إدراك أبعاد النص القرآني والقدرة علي تغذيته للزمان والمكان .

القرآن الكريم : يتحدث فضيلة الشيخ محمد الغزالي عن العودة إلى القرآن الكريم والتعبد بتلاوته مع فهم المعنى والعمل به فالله سبحانه وتعالى يقول {كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ } (الرعد ٣٠) فالتلاوة هي أساس التوكل وأساس التوجه وأساس صنع النفس البشرية .

نعم إن القرآن يكلم الرجال ليعيد صياغتهم ويكلم الأحياء ليحقق استجابتهم ويكلم العقلاء ليوجه وعيهم فيجعل منهم أمة تحمل الرسالة لأنها فهمت المقصود من إرسال المعجزة الأخيرة وأدركت أبعادها وتدبرت مقاصدها معجزة إنسانية تتصل بإحياء المواهب الإنسانية وتفجير الطاقة البشرية لهذا الخلق وإعادة بناء وتشكيل العقل الإنساني .

لكن المسلمين اليوم لم يفهموا سنن الله الكونية في الأرض حسب منهج التجربة والاستقراء والملاحظة وهو المنطق القرآني الذي عرف من كتاب ومن تطبيقات النبوة ولم يحسنوا الاستفادة من سنن الله تعالي في الحضارات والمجتمعات وكانت النتيجة أن الأمة سقطت بقضها وقضيتها في قبضة الاستعمار العالمي الذي لا يرحم .

وإذا تأملنا ملامح الظاهرة الثقافية التي عليها المسلمون اليوم فإننا نجد أن هناك خللا في تلقى القرآن الكريم وخللا في التعامل مع القرآن وهذا الخلل يعود إلى طريقة التدريس وإلى مناهج التربية والتعليم .

لقد كان إهمال الأخذ بسنة السببية من أهم أسباب التخلف في مجال الدنيا وأعمارها والتواكل في مجال الدين والسلوك ولو أعملنا هذه السنة لاستطعنا أن نحدد موطن الخلل في نظامنا التعليمي وفي التعامل مع القرآن الكريم منبع ثقافتنا الأصلي الذي أحدث هذه الظواهر – فتغيير التعامل مع القرآن يجب أن يبدأ في إصلاح الخلل في مناهج التلقي ووسائط الوصيل وإعادة بناء العقل على منهج فكرى واضح نستطيع به تغير التعامل مع القرآن الذي يقول : (ومعنى ذلك أن الفساد لن يتلاشى إلا إذا اختفى ما تكسبه الأيدي من أثم إن (سيرجينز) عندما كان يقرأ معلوماته عن الفلك على بعض المسلمين ويرتعش من حدة العاطفة التي ملكته وهو يحدث عن الله وعن الإيمان بعظمته لما رأى من عظمة المجرات التي درسها – كان أقرب إلى الإسلام من كثير منا عندما درس السماء .

إن غيرنا يرتاد الفضاء ويتخذ من ذلك منارات وعلامات لكي يسخر الحضارات له إما نحن فوقوف لابد من إحسان التعامل مع القرآن .

ولاحظ شيخنا أن المشكلة الفكرية اليوم هي أننا تخلفنا أيضا لمواردنا الثقافية وبذلك نلجأ إلى لون من التفسير المتخلف أيضا كنوع من التسويق للواقع الذي نحن عليه .

<u>قضية الحديد :</u>

آية الحديد الظاهر فيها أن الله تعالى يريد أن يعلم المسلمين من ينصره بالغيب – الدافع واضح من استخدام الحديد- لابد من نصرة الله بالغيب فاستخدام الحديد في صناعة السيوف أو الرماح قديما- لكن الحديد اليوم أساس صناعة الدبابات والسفن والمدافع والصناعات الحربية الهائلة وما ينصر الله تعالى

رسله إلا بهذه الصناعة فأين هي من وعينا وأين نحن من إعداد أسبابها ؟ لا شيء – بل لقد رأينا غيرنا استطاع في ميدان الفلاحة البدائي – أن يستثمر الأرض وأن يخرج منها القناطير المقنطرة بينما لم نحس أن ناكل من الأرض التي بين أيدينا .

ثم يهتف شيخنا : لابد من جعل القرآن يتحول في حياتنا إلى طاقة متحركة ، أما أن يجعل في المتاحف أو المكاتب للبركة أو نفتح المصحف ونقرأ منه آية أو آيات وينتهي الأمر فهذا لا يجوز .

ولاحظ مؤلفنا ملاحظة ذكية تتلخص في إن آيات الأحكام كانت من وراء جهد الفقهاء في بعض القضايا وبعض الاجتهادات الفقهية – لكن بقية آيات القرآن أهملت – وبقية القرآن هي قصص .

والقصص القرآني فيها الكثير من العلاج – ترى لماذا أهمل التأليف الروائي وكان يمكن أن يكون سببا في إنشاء أجيال واعية – كان يمكن أن يروى المسلم للأطفال محاولة الحبشة هدم الكعبة تبعا لمؤامرة عالمية بين الإمبراطورية الرومانية في أوربا وبين الحبشية في أفريقيا وكيف أنها أرسلوا الفيل وكيف أنهم نجحوا في احتلال الجنوب وبذلك يعرف الأطفال أشياء كثيرة عن علاقات دينية وعلاقات دولية ومعلومات تاريخية وكيف أن الله ينصر الإسلام بعد أن نبذل نحن جهدنا في نصرته .

انفصال العلم عن الحكم :

كانت دولة الخلافة الراشدة دولة تمثل الإسلام تمثيلا هو الأقرب إلى عهد النبوة ثم حدث تحول كبير – فقد تحولت دولة الخلافة إلى ملك ولا شك أن الإسلام بقى في جملته وأن الملوك الذين تبنوا الإسلام تبنوا منه المجموع من المعارف التي لا تصطدم بوجودهم ولا بأحوالهم الاقتصادية التي تحيط بهم أو يشكلونها لحراسة سلطتهم ومن خرج علي هذا الخط إما تصوف وابتعد

وانسحب من الميدان بالتصوف وإما عاش يتحمل شيئا من الأذى ويبقى الكيان الإسلامي نظريا ، وقد تستبقيها القائمة لينجح في أداء هذا المعنى للاحتفاظ بالصورة النظرية للإسلام .

وضياع الحكم من قيم الإسلام ومن تأثيرات الإسلام على المجتمع له نتائج خطيرة فلقد أعقب ضياع الحكم وانفصال العلم عن الحكم أو الثقافة عن السياسة انفصال آخر أشد خطورة على الأمة إذ أن العلم الإسلامي انقسم بين فقهاء ومتصوفه – مع أن التربية التي أساسها العقيدة والأخلاق جزء من مقاصد القرآن الذي جاءت آياته لتدريب الأمة على العقيدة والأخلاق بطرق شتى فوجد فقهاء يشتغلون بالمعاملات وبظواهر العبادات ووجد مربون يشتغلون بالأخلاق والتربية – فكثير من هؤلاء فقدوا الناحية الروحية التي فيها حرارة وعاطفة (وهم الفقهاء) وكثير من أولئك فقدوا الناحية العلمية التي فيها ضوابط وقانون – فنشأ عن ذلك زلزلة في الفكر الإسلامي ذلك أن انفصال الفقه عن التصوف أو انفصال التصوف عن الفقه أضاع الأمة .

اختلال في نواح أخرى :

ثم وجد بعد ذلك في العلم الديني من عكف على القرآن دون بيان السنن أو عكف على السنن دون موازين القرآن فانضم إلي السنة حشد هائل من الموضعات الواهيات سببت بلبلة في الفكر الإسلامي .

وهناك شيء أخطر من هذا كله وهو أن علوم الحياة نبغ فيها نوابغ مثل جابر بن حيان في الكيمياء والحسن بن الهيثم في البصريات والخوارزمي في الرياضيات وغيرهم – لكن مع الأسف أن هؤلاء العلماء عاشوا على هامش المجتمع الإسلامي ولم يعيشوا في صميمه واعتبرت هذه الأشياء التي يشتغلون بها نوافل أو دون النوافل مع أن المجتمع لا يقوم إلا بها فالغش الذي وقع في الثقافة الإسلامية وقع أولا في الفقه فانحسر بعيدا عن فقه العمل والعمال وفقه الدولة

انفصل وذهب وتوسع في العبادات بطريقة تكاد مضحكة وتعددت الصور لأن الفقهاء يريدون ملء الفراغ .

والقصص القرآني انتقل من دراسة تاريخية لقيام الحضارات وانهيارها إلى دراسة ليس فيها حس بسنن الله الكونية إطلاقا فوجدت أساطير ووجدت إسرائيليات وفي كل ذلك مجال واسع عند القصاصين .

والتفسير القرآني ابتعد أيضا عن روح القرآن ومقاصده فالمحاور القرآنية بوجه عام لم تجد من يتبناها ويمشى مع آفاقها لكي يحقق في الحياة – بل بالعكس الأسلوب الفقهي تغلب على أنواع البحث التي يجب أن تبتكر في الميادين الأخرى – فإن ما يحتاج إليه الطبيب غير ما يحتاج إليه الكيماوي – وما يحتاج إليه المهندس الزراعي غير ما يحتاج إليه الفلاح – فكل شيء له من طبيعته منهج يسير عليه ، وامتداد هذه المناهج يكاد يكون في ثقافتنا صفرا .

الرؤية الموضعية والرؤية الموضوعية :

ثم يتحدث شيخنا عن النظرة الشمولية للرؤية القرآنية والعجز فيها الذي أدى إلى لون تقطيع الصورة وتمزيقها أو إلى التبغيض المورث للخزي الواقع في حياتنا اليوم وكأنه صدى لقوله تعالى ناعيا على إسرائيل {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا } البقرة : ٨٥) .

ونخشى أن تكون علل الأمة السابقة انتقلت إلينا – على الأقل من الناحية النظرية لأننا ننظر نظرة جزئية ونأخذ بعض مقاصد الآية أو السورة ونترك ما وراءها للتبرك والتلاوة ونخشى أن نكون قد وقعنا في هذا فعلا – على الرغم من ادعائنا الإيمان بالقرآن كله نعم نحن نعيش الآن مرحلة التبعيض والتفاريق . ترى كيف يمكن أن نرسم الطريق لتحقيق الرؤية الشاملة والنظرة الموضوعية لا

الموضعية ، وهل نعتقد أن الاقتصار على الجانب التشريعي وإهمال بقية المقاصد هو سقوط في هذا التبغيض .

ثم يقول : إن تعاليم الإسلام نسيج متشابك ملتحم بعضه مع بعض – تختلط فيه العقيدة مع العبادة مع الأخلاق مع أنواع المعاملات المختلفة .

أن النظرة الشاملة هي النظرة الصحيحة للدراسات القرآنية ، والنظرة الجزئية عندما سادت الفكر الإسلامي نشأ عنها ما يشبه الجسم المشلول في بعض أطرافه أو في بعض أجهزته مع بقاء أجهزة أخرى حية .. إنه لا يستطيع أن يؤدى وظيفته ما دام الشلل أو الخطر جد في بعض الأجهزة أو الأعضاء – ولابد من النظرة الشمولية للقرآن كله وهكذا انطلق القرآن من بدء نزوله حيث قال الله تعالى { ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ } (العلق١:٥).

وبالقراءة أولا وكون القراءة باسم الله وليست قراءة مجردة أو علما للعلم وإنما هي قراءة باسم الله سبحانه وتعالى هدفها .. الله الذي خلق ، فقد ربط القراءة بتكوين الإنسان من علق قضية متباعدة الأطراف ثم التركيز على : (اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) ، الدخول في مسألة اقتصادية واجتماعية معا وهي طغيان الإنسان عندما يترف وينعم ويجيئه المال ويستكبر به ، هذه المعاني المتباعدة في ظاهرها هي القرآن الذي يكون مائدة متماثلة في ما ذهب من حقائق الحياة عناصرها لمن يسمع وينفذ .. فلابد من هذا الشمول في النظر .

إن المسلمين اليوم يرفعون شعار : إن الإسلام شامل لجميع جوانب الحياة ، لكنهم من الناحية العلمية واقعون في التجزيء وفي تضخيم بعض الجوانب ، ونحن متهمون من بعض المفكرين الغربيين أن العقل العربي نفسه مولع

بالنظرات الجزئية وعاجز عن النظرة الشمولية ترى كيف يكون العلاج ؟

العلاج يكون في التفسير الموضوعي بشقيه وهو مثلا النبوة في القرآن – المال في القرآن ، العدالة في القرآن تفسير موضوعي من هذا النوع يكون فيه معالجة لهذا الواقع ومنطلق ثقافي لرؤية قرآنية شاملة ومتوازنة – يضاف إلى ذلك أن النظرة الموضوعية للسورة كاملة ومعرفة الأغراض التي تدور حولها يمكن أن تسهم أيضا في تكوين المنطق الثقافي للرؤية الشاملة – نحن أنفسنا روجنا لهذا الاتهام ووقعنا بسبب النظرة الجزئية مغالطات ومفارقات عجيبة .

وهكذا يطالبنا شيخنا الجليل بأن نعود إلى القرآن الكريم ننشغل به ليكون محور حياتنا .

إن الأمة الإسلامية لابد أن تنزع كلها إلى الدستور الرصين والأركان الكبرى في هذا الدستور ، لابد أن تبنى وكذلك تفعل الأمم الأخرى ، ويجب ألا يغيب عن أبصارنا أبدا الهدف الأساسي الذي لابد منه وهو (كتابنا) .

كتابنا يكاد يضيع منا ونقرؤه موسيقا من كبار القارئين ونسمعه بتبلد لأننا نريد أن نتلاقى على مجالس تأوهات و إعجاب بالأصوات وانتهى الأمر .

أما أن ينطلق القرآن كتابا محركا للحضارات فقد غاب هذا كله لأننا انشغلنا بغيره وهذا ما رفضه .

أضواء على كتاب القرآن وعلم النفس

للأستاذ الدكتور محمد عثمان نجاتي

وقال عن دوافع السلوك في القرآن الكريم : لقد أقام الإسلام نظاما فريدا لتربية أبنائه على أساس يحفظ كيانهم ويحقق التوازن الكامل بين طاقاتهم بحيث لا تدمر فيه طاقة من الطاقات بل تعمل كلها في انسجام تام بلا طغيان ولا ضعف كالفرقة الموسيقية المتكاملة المتلائمة التي تؤدى دورها على أكمل وجه .

وهذا النظام يجعل الغربيين ينظرون إليه بعين الإعجاب حتى إن رجلا عالميا كالدكتور سيزل عميد كلية الحقوق بجامعة فينا الأسبق قال في مؤتمر عالمي عام ١٩٢٧م (إن البشرية لتفخر بانتساب رجل كمحمد إليها فإنه على أميته استطاع قبل بضعة عشر قرنا أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوربيين أسعد ما نكون لو وصلنا إليه بعد ألفى عام) .

ونحن لا نجد غرابة في ذلك فإن الله سبحانه وتعالى الذي خلق الإنسان هو الذي أتى بهذا التشريع وهو الذي يعرف دوافع السلوك للإنسان { أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ } (الملك : ١٤) .

ومن هنا فقد جاء منهج التربية في الإسلام كاملا شاملا لكل الخصائص التي تتفق مع حاجات الإنسان في أطوار حياته .

في العصر الحديث :

ظهر علم النفس الذي اخذ يبحث عن الدوافع الإنسانية وأسبابها ونتائجها والذي أخذ يحلل الإنسان وتصرفاته .

ومن هنا فقد أراد الأستاذ الدكتور محمد عثمان نجاتي وهو أستاذ متخصص في علم النفس أن يلقى الأضواء على الصلة بين القرآن الكريم وعلم النفس فألف كتابه (القرآن وعلم النفس) .

دوافع السلوك :

تنقسم دوافع السلوك في النفس البشرية إلى قسمين :

١) دوافع فسيولوجية : وهى الدوافع الفطرية التي ترتبط بحاجات البدن الوظيفية وهى دوافع أولية .

٢) دوافع نفسية : وهى الدوافع التي تكتسب بالتعلم في أثناء التنشئة الاجتماعية للفرد وهي دوافع ثانوية .

٣) ومن الدوافع الإنسانية :

- دوافع التملك : وفي ذلك يقول القرآن الكريم في قوله { فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ } (طه ١٢٠)

- ومنها دوافع العدوان : وهى التي يحذر منها القرآن الكريم في قوله {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ } (آل عمران ١١٨).

- ومنها دوافع التنافس : وهي التي يدعو إليها القرآن الكريم إذا ما كانت في سبيل الخير في مثل قوله { سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ } (الحديد ٢١).

- ومنها دوافع التدين : وهى التي يدعو إليها القرآن الكريم في مثل قوله {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا } (الروم ٣٠).

- هناك دوافع لا شعورية وتظهر في فلتات اللسان .

والإسلام يطالب المسلمين بالسيطرة على الدوافع- لا كبتها – وهو يطلب منهم أن يأكلوا مما في الأرض حلالا طيبا وألا يتبعوا خطوات الشيطان لأنه لهم عدو مبين ويطالب بالاستعفاف عن طريق النكاح فإن لم يجدوا ما يستطيعون به أن يتزوجوا فعليهم بالصوم فإنه لهم وقاء ونهى عن الخلوة بين الرجل وبين المرأة وعن الدخول في البيوت بغير استئذان ، كما نهى النفس عن الهوى عن طريق ضبط الإنسان لأهوائه وشهواته فما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور والله سبحانه وتعالى وعد المتقين بجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله .

والانحراف الدوافع : يجعله يسيطر على الإنسان ومن ذلك الانحراف الجنسي في قوم لوط والحب الشديد للمال والإسراف في العدوان وفي التنافس وفي طلب الراحة الخمول والكسل .

والانفعالات تعين الإنسان على البناء فانفعال الخوف يدفع الإنسان إلى تجنب الأخطار وانفعال الغضب يدفعه إلى الدفاع عن النفس وهكذا .

وهناك علاقة وثيقة بين الدوافع والانفعالات :

فانفعالات الخوف تظهر في المؤمنين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وهناك أنواع من الخوف مثل : الخوف من الموت والخوف من الفقر والخوف من المرض

والقرآن الكريم يعالج هذا كله ببيان أن الحياة الدنيا ما هي إلا متاع الغرور وأن الآخرة هي الدار الباقية وأن الله تعالى تكفل بالرزق لكل من على ظهر الأرض .

الحب : وهناك دوافع حب الذات الذي يجعل الإنسان يستكثر من الخير وحب الناس الذي يطالب القرآن الكريم المسلمين به وذلك بأن يعتصموا بحبل الله جميعا ولا يتفرقوا والحب الجنسي الذي طالب القرآن الكريم أن يكون للزوجات والحب الأبوي الذي يتمثل في طلب نوح عليه السلام من ابنه أن يركب معه في السفينة لينجو من الغرق وحين رفض الابن وصعد إلى الجبل الذي ظن أنه سينقذه من الغرق – ناد نوح ربه (إن ابني من أهلي) فقال له رب العزة (إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح وطلب منه ألا يسأله شيئا في هذا الأمر) وهناك حب الله تعالى الذي يقول فيه القرآن الكريم { قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ } (ال عمران ٣١) .

الفرح : شعور الإنسان بانفعال الفرح والسرور يظهر إذا نال ما يتمناه وهو

يتوقف على أهداف الإنسان في الحياة وهناك من يفرح بالحياة الدنيا إذا نالها مع أنها متاع الغرور .

الكره : ويظهر في الشعور بعدم الاستحسان وعدم التقبل وقد بين القرآن الكريم لمن يكرهون زوجاتهم أن ذلك قد يكون فيه خير كثير لهم وبين للمسلمين الذين يكرهون القتال أنه قد يكون فيه الخير لهم .

الغيرة : وتحدث الغيرة إذا شعر الشخص بأن محبوبة قد توجه انتباهه إلى شخص آخر وقد تحدث بين الأخوة كما حدث بين أخوة يوسف

الحسد : تمنى زوال نعمة الغير والعمل على زوالها ومن ذلك غيرة ابن أدم الذي لم يقبل الله قربانه فقال لأخيه : لأقتلنك – ثم قتله بعد ذلك وكذلك ما حدث من أخوة يوسف بالتآمر عليه وإلقائه في الجب وذهابهم إلى أبيهم بدم كاذب حيث قالوا له : لقد أكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين .

الحزن : ويحدث إذا فقد الإنسان شخصا عزيزا عليه أو شيئا ذا قيمة أو حلت به كارثة أو فشل في تحقيق أمر هام وفي ذلك يقول الله تعالى عن موسى { فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ } (القصص : ١٣)

الندم : الندم حالة انفعالية تنشأ عن شعور بالذنب ولوم النفس على فعله ومن ذلك ابن أدم الذي قتل أخاه ولم يعرف ماذا يفعل بجثته فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه فقال : { يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ } (المائدة : ٣١)

الحياء : الحياء مركب من الخجل والخوف ويدفع الإنسان إلى تجنب الأفعال القبيحة ومن ذلك قصة موسى مع ابنة شعيب التي جاءته تمشى على استحياء وقالت له إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا .

الزهو : الزهو هو الإعجاب بالنفس والغرور والتعاظم والكبرياء وهو

يؤدى إلى التعالي ويمثل هذا قول الله تعالى في المنافقين {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ} (المنافقون:٥) ، وهناك تغيرات بدنية معاصرة للانفعال ويوضح هذا القرآن الكريم في قوله تعالى { وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ } (الزخرف ١٧).

وفى حالة الفرح والسرور يبدو الإنسان نشيطا منتصب القامة مرفوع الرأس متسع الصدر . وفى حالة الخزي والشعور بالذنب والندم يبدو الإنسان ذليلا مطاطىء الرأس منكمش الجسم . وفى حالة الخوف يبدو الخائف منتصب شعر الرأس . وفى أثناء الانفعال تتعطل عملية التفكير في الإنسان .

الصراع بين الدوافع

إذا تعارضت بعض الدوافع مع بعضها الآخر فإن الإنسان يحس بحيرة وتردد وعجز عن اتخاذ قرار في أي اتجاه ومما جاء في هذا قول الله تعالى { قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} (الأنعام٧١) والقرآن الكريم يعترف بالدوافع ويدعو إلى إشباعها في حدود الشريعة الإسلامية وهناك أساليب للسيطرة على الدوافع ومنها :

القمع : بمعنى الكف الإرادي لدافع ما أو رغبة ومقاومة إشباعها أو التعبير عنها في ظروف لا تسمح بإشباعها ويمكن إشباعها في ظروف أخرى

الكبت : ومعناه إنكار الرغبة واستقذارها أو الخوف منها ومحاولة إبعادها نهائيا عن دائرة الوعي تخلصا مما تسببه من شعور بالإثم أو القلق – بحيث ينتهي إلى كبتها في اللاشعور وتظل الرغبة في محاولة التعبير عن نفسها بطرق وحيل لا

شعورية مما يسبب نشوء كثير من الأمراض المختلفة لاضطراب السلوك .

والقرآن الكريم : يدعوا إلى تنظيم الإشباع والتوجيه السليم بحيث يسيطر الإنسان على دوافعه ويوجهها التوجيه السليم { يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } (البقرة ١٦٨:١٦٩)

ويقول { يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } (الأعراف ٣٢:٣١)

وقد طلب القرآن الكريم السيطرة على الدافع الجنسي فقال { قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ } (النور٣١:٣٢)

وقد نهى القرآن الكريم عن خلو الرجل بالمرأة لأن فيه منزلقا إلى إثارة الدافع الجنسي ، كما نهى عن الإسراف في الطعام فقال { وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ } (الأعراف : ٣١)

كما دعا إلى ضبط دوافع التملك في مثل قوله تعالى { وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ *يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ } (التوبة ٣٤:٣٥)

وطلب من المؤمنين الإنفاق في سبيل الله تعالى فقال : { ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ

وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ } (الحديد : ٧).

وطلب نهى النفس عن الهوى وضبط الإنسان لدوافعه وكفه لشهواته وسيطرته عليها ، ودعا إلى التسامح بالتقوى فتقوى الله تعالى أقوى وفى ذلك يقول : { ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ } (الحديد : ٢٠) .

العلاج النفسي في القرآن الكريم :

يعنى الإسلام بتربية المسلم التربية المتكاملة التي تجعله قادرا على أن يؤدى وظيفته في هذه الحياة ويبدأ بجعل صلته بالله تعالى قوية والشعائر كلها تقوى هذه الصلة وتجعل المسلم قوى الإرادة قوى التفكير قادرا على تخطى صعوبات الحياة وقد طلب القرآن الكريم من المسلم أن يستعين بالصبر والصلاة فقال { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ } (البقرة١٥٣) ويبين للمسلم أن ما يحدث في هذه الحياة من ابتلاءات ويسميها الناس : مصائب ما هي إلا ابتلاء من الله تعالى للمسلمين ليجعلهم قادرين على الصمود في هذه الحياة ويبشر الصابرين بأن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ورحمة ورضوان من الله تعالى فقال { وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ } ، ويبين للمسلم أن هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا .

والإيمان بالله تعالى قوة خارقة تمد المسلم المتدين بطاقة روحية ضخمة تعينه على تحمل مشتقات الحياة وعلى تجنب القلق المرضى الذي يعوق الإنسان عن السير في هذه الحياة سيرا يمكنه من أدار وظيفته .

وجيمس عالم النفس الأمريكي يقول (الإيمان من القوي التي لابد من توافرها لمعاونة المرء على العيش وتبعده عن العجز الذي لا يجعله قادرا على العمل السليم) ، وفي ذلك يقول الله تعالى { ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾} (الرعد٢٨) .

وأسلوب القرآن الكريم في علاج النفس البشرية يقوم على تعديل الأفكار وتغيير الاتجاهات والسلوك يقول الله تعالى { إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ } (الرعد : ١١)

ويربى المسلم على التقوى التي تجعله يتحكم في دوافعه وانفعالاته ويسيطر على ميوله وأهوائه يقول الله تعالى { يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } (الأحزاب ٧٠-٧١) والأمراض النفسية تنشأ من عجز الإنسان عن حل صراعاته .

والصلاة لها أثرها الواضح في حل الصراعات النفسية للمسلم لأنها تصله بالله تعالى خالقه وتجعله يحس بأن الله لا يريد له إلا الخير ، وانه لو اطلع على الخير لا ختار الواقع يقول الله تعالى { وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾} (البقرة٢١٦).

وصلاة الجمعة تمد المسلم بالمعلومات الدينية والإرشادات العلاجية وتجعل المسلم ينظر إلى نفسه من الداخل و إلى مشكلاته نظرة موضوعية وتجعله يستعين

بخالقه سبحانه وتعالى في جعله يحس بالرضا والقناعة ، ويطلب معونته في حل مشكلاته بالأسلوب الذي يريحه ويقوي إرادته ليتغلب على صعوبات الحياة المختلفة .

وعلى المسلم أن يفكر في صلته بالله سبحانه وتعالى وأن يحاسب نفسه على كل تقصير وأن يتوب إلى الله من كل ذنوبه وقد فتح الله سبحانه وتعالى له باب التوبة على مصراعيه فقال : { قُلْ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ } (الزمر ٥٣) .

وهكذا نجد أن علم النفس الحديث يعرف بعض جوانب النفس البشرية ، وذلك بعد أربعة عشر قرنا من نزول القرآن الكريم ويعالج المرضى معالجة فيها الكثير مما جاء في القرآن الكريم .

والقرآن الكريم كتاب الله الكريم من عند الخالق العظيم سبحانه وتعالى وهو خالق البشر وهو أعلم بما يصلح لهم وما يصلحهم ، وعلم المسلمين أن يعتزوا بدينهم ويقرآنهم وأن يحملوا رايته عالية خفاقة لينشروه بين أرجاء هذا العالم الحائر الذي يسير إلى طريق الهاوية لأنه لا ينظر إلا إلى المادة ويرى أنها كل شيء ويترك الجانب الروحي وهم أهم جوانب الإنسان في هذه الحياة .

فبذلك ينقذون أنفسهم وينقذون هذا العالم التائه في ظلمات الحياة .

وبذلك يرضون عن أنفسهم ويرضى الله تعالى عنهم في الدنيا والآخرة .

وصدق الله العظيم القائل { إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا } (الإسراء ٧) .

أضواء على كتاب الحديث النبوي الشريف وعلم النفس

للأستاذ الدكتور محمد عثمان نجاتي

الإنسان : خلقه الله سبحانه وتعالى ليكون خليفة في الأرض يقوم بتعميرها ونشر العدل والأمن والسلام فيها وفي ذلك يقول الله تعالى : { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً } (البقرة : ٣٠) ، ولذلك فقد كان أساس التربية في الإسلام دوام الصلة بالله سبحانه وتعالى .

والمسلم القريب إلى الله ليس هو صاحب المال ولا صاحب الجاه ، بل هو الذي يسير على المنهج الذي رسمه الله سبحانه وتعالى : { يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ } (الحجرات١٣) .

والإنسان مزيج من الماديات والمعنويات واستخدام الإنسان لطاقاته كلها يحدث توازنا بين مادياته ومعنوياته ذلك لأن طغيان ناحية على ناحية أخرى يحدث أنواعا من الشذوذ على النحو الذي نراه في المجتمعات الحديثة ، فالتربية المتوازنة من الخصائص الواضحة في منهج التربية الإسلامية .

والنبي الكريم ﷺ هو المعلم الأول الذي ربى هذه الأمة التربية الكاملة المتكاملة وسار المسلمون على هذا المنهج حتى أدوا رسالتهم كاملة طوال فترات طويلة ثم غفل المسلمون عن هذا المنهج ، وفى عصرنا الحاضر جاء الأستاذ الدكتور محمد عثمان نجاتي ليبين لنا أسلوب تربية النبي ﷺ لأصحابه من خلال كتابه : (الحديث النبوي الشريف وعلم النفس) .

وبذلك يمكننا أن ننظر إلى التربية النبوية نظرة جديدة تجعلنا نقوم بالتربية على هذا المنهج حتى نحقق لأمتنا ما هي في حاجة إليه من التربية السليمة التي

تجعل المجتمع الإسلامي قادرا على أداء دوره في الحياة كما قام به السابقون من أبناء الأمة الإسلامية .

دوافع السلوك في الحديث :

للإنسان حاجات كثيرة منها ما هو أساسي مثل الطعام والشراب ومنها ما هو ضروري لتحقيق أمنه النفسي ، منها حاجات فسيولوجية مثل الجوع والعطش ومنها ما هو روحي ونفسي بعضها يتعلق بأمنه النفسي وسعادته ، فالإنسان يشعر بالطمأنينة بمعرفته بخالقه .

دوافع حفظ الذات :

وتكون في الطعام والشراب والسكن والزواج وفي ذلك يقول النبي الكريم ﷺ (ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال : بيت يسكنه وثوب يوارى به عورته وجلف الخبز والماء) رواه الترمذي وأحمد ، والجلف : الخبز وحده لا إدام معه ، ويقول : (من كان لنا عاملا فليكتسب زوجة فإن لم يكن له خادم فليكتسب خادما فإن لم يكن له مسكن فليكتسب مسكنا) رواه أبو داود .

الجنس والأمومة :

يمثلان دافعا بقاء النوع فالذكر والأنثى كل منهما ينجذب نحو الآخر فتتكون الأسرة ويحدث التناسل : { وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾} (النحل٧٢) والعلاقة بينهما علاقة مودة ورحمة والصلة بينهما ترتفع إلى مستوى العبادة ويظهر ذلك في قول النبي الكريم ﷺ (لا يحل لمسلم أن يروع مسلما) (رواه أبو داود) .

ونهى عن السخرية والتحقير والغيبة والغش وأكل أموال الناس بالباطل أو إراقة الدماء ، فقال :(المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من

هجر ما نهى الله عنه) رواه الشيخان ، وقال : (ليس المسلم بطعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذيء) رواه الترمذي ، وقال : (لا يدخل الجنة نمام) رواه مسلم .

السيطرة على دوافع التملك :

يقول النبي ﷺ في ذلك : (ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غني النفس) رواه الشيخان ، ويقول : (تعس عبد الدرهم والدينار والقطيفة والخميصة إن أعطى منها رضي وإن لم يعط سخط) رواه البخاري ، وحث على الإنفاق في سبيل الله فقال : (من أنفق نفقة في سبيل الله كتبت له بسبعمائة ضعف) رواه الترمذي والنسائي ، ويقول (ما نقص مال من صدقة) رواه مسلم.

الانفعالات في الحديث النبوي الشريف :

الانفعالات الهامة عند الإنسان هي انفعالات الخوف والغضب والكره والحزن والحياء والحسد والغيرة والكبر والعجب والزهو .

الحب : الحب هو العامل الأساسي في تكوين الأسرة وفي تربية الطفل وفي ترابط أفراد الأسرة وتماسكهم وتعاونهم وفي تكوين العلاقات الاجتماعية .

وحب الله سبحانه وتعالى يقوم بدور هام في حياة الإنسان وكذلك حب الرسول الكريم ﷺ وفى الحديث (من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله فقد استكمل الإيمان) رواه أبو داود والترمذي . (أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله) رواه أبو داود ، (وفي بضع أحدكم صدقه) رواه مسلم ، وفى قوله (من أراد أن يلقى الله طاهرا مطهرا فليتزوج الحرائر) رواه ابن ماجة .

الدوافع النفسية والروحية :

وتظهر في دافع التدين وفي ذلك يقول الله تعالى { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا } (الروم٣٠) ، ويقول النبي الكريم ﷺ (ما من مولود إلا ويولد على الفطرة) رواه الشيخان .

دوافع التنافس :

ودافع التنافس من الدوافع النفسية وقد حث القرآن الكريم على التنافس في تقوى الله تعالى ، فقال { إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِى نَعِيمٍ } (المطففين٢٢) ، كما أن النبي الكريم ﷺ وضح للمسلمين خطر التنافس في غير الخير ، فقال (فوالله ما الفقر اخشي عليكم ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها فتهلكوا) البخاري ، وكان النبي الكريم ﷺ يشجع على التسابق بالخيل وغيره .

دافع التملك :

وقد بين الرسول الكريم ﷺ دافع التملك عند الإنسان وحذر منه أن يسير في غير الطريق السليم ، فقال (لو كان لابن آدم واديان من ذهب لأحب أن يكون له ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب) رواه الشيخان .

ويلاحظ أن هناك علاقة بين الدافع والانفعال وقد أشار إلى ذلك رسول الله ﷺ في قوله (للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه) رواه النسائي.

الصراع بين الدوافع :

إذا وقع الإنسان تحت تأثير دافعين متساويين في القوة ومتضادين قي الاتجاه حدث الصراع مثل موقف المنافقين الذي وضحه القرآن الكريم في قوله { إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿١٤٣﴾ } (النساء١٤٢-١٤٣) .

وقول النبي الكريم – ﷺ (مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين العتمين تسير إلى هذه مرةوإلى هذه مرة) رواه مسلم ، وكثيرا ما يقع الصراع النفسي لدى الإنسان بين دوافعه المتعلقة بإشباع حاجاته البدنية وأهوائه وشهواته الجنسية وبين

دوافعه الدينية وأشواقه الروحية من جانب آخر .. يقول النبي الكريم – ﷺ (مثلي كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش ، هذه الدواب التي في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها قال : (فذلكم مثلي ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار فتغلبوني وتقحمون فيها) رواه مسلم ، ويوجه النبي الكريم ﷺ الناس توجيها طيبا فيقول (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني) رواه الشيخان، ويقول (ما تركت بعدى فتنة هي أضر على الرجال من النساء) رواه الشيخان ، والخلاص من الصراع يكون بتقوية أحد الدافعين ، يقول الله تعالى {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا } (طه ١٢٤) .

ولابد من التوازن بين الجانب الروحي والجانب المادي في الإنسان الذي ، يقول القرآن الكريم فيه : { وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ } (القصص ٧٧) ويقول النبي الكريم ﷺ : (حبب إليَّ من الدنيا ثلاث : النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة) النسائي .

السيطرة على الدوافع :

والسيطرة على الدوافع تكون عن طريق الإشباع الحلال والذي وضحه النبي الكريم ﷺ فقال (يا أيها الناس ! إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال : يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ، وقال { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ } (البقرة١٧٢) ثم ذكر الرجل يطيل الشعر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب له) رواه مسلم والترمذي .

والتنظيم :

يكون عن طريق عدم الإسراف في الإشباع في ذلك ، يقول النبي الكريم ﷺ (كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة) رواه البخاري ، ويقول (طعام الاثنين كافي الثلاثة وطعام الثلاثة كافي الأربعة) رواه الشيخان ومالك والترمذي .

والسيطرة على الدافع الجنسي تكون عن طريق الزواج المبكر والألعاب الرياضية والأعمال الفنية والأدبية والأنشطة الاجتماعية المختلفة إلى جانب عدم تعرض الشباب للإثارة ، والصوم ، يقول النبي الكريم ﷺ (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباء فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) رواه الشيخان والترمذي ، ويقول في الاختيار (إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنه في الأرض وفساد كبير) رواه الترمذي وقد بين النبي الكريم ﷺ أهمية السيطرة على الدوافع في المجتمع الإسلامي حتى يعيش في أمن وسلام ومودة ، فقال (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده ومن ولده والناس أجمعين) رواه البخاري .

(ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يقذف في النار) رواه الشيخان والترمذي والنسائي .

حب الناس :

في الإسلام المؤمنون إخوة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا وفي الحديث الشريف ما يرسم الخطة التي تجعل المسلم يسير في هذا الاتجاه حتى يمكنه أن يعيش سعيدا في مجتمع سعيد ، يقول (والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على ما تحبون به ؟ أفشوا السلام بينكم)

رواه الترمذي ، (المؤمن آلف مألوف ولا خير في من لا يألف ولا يؤلف) رواه أحمد ، (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) رواه الشيخان ، (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر) رواه الشيخان .

حب الأبناء :

وحب الأبناء عنصر أساسي في التربية النبوية وجاء أعرابي إلى النبي الكريم ﷺ ، وقال له (أتقبّلون صبيانكم ؟ والله ما نقبلهم ، فقال ﷺ أو أملك إذا نزع الله من قلبك الرحمة) رواه الشيخان ؛ وقد قبّل النبي الكريم ﷺ الحسين بن علي وعنده الأقرع ابن حابس التميمي فقال (إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا فنظر إليه النبي الكريم ﷺ ثم قال : من لا يرحم لا يرحم) رواه الشيخان .

الحب الجنسي :

الحب الجنسي أساس في استمرار الحياة ولكن المطلوب أن يكون في إطار العلاقات الزوجية ولذلك قال النبي الكريم ﷺ (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) رواه الشيخان .

الخوف :

والمطلوب أن يكون الخوف المسيطر على الإنسان هو الخوف من الله تعالى وفى ذلك يقول النبي الكريم ﷺ (لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع) رواه الترمذي .

حب المخلوقات :

الكون خلقه الله تعالى للإنسان والمطلوب أن يكون الكون كله محبوبا من الإنسان فإن ذلك يعينه على أداء رسالته يقول النبي الكريم ﷺ (ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به

صدقة) رواه الشيخان والترمذي . ويقول (في كل ذات كبد رطبة أجر) رواه البخاري ومسلم ، كما يعطينا أمثلة للرجل الذي اشتد عليه العطش ورأى كلبا عطش مثله فسقى الكلب بوضع الماء في نعله فغفر الله له ذنوبه ، والمرأة التي حبست هرة في الدار فماتت فلا هي أطعمتها وسقتها ولا هي تركتها تأكل من حشائش الأرض فعذبها الله سبحانه وتعالى .

الأعراض البدنية للغضب :

من مظاهر الأغراض البدنية للغضب سرعة دقات القلب وانقباض الأوعية الدموية في الأحشاء واتساعها على سطح البدن والأطراف مما يؤدى إلى كثرة تدفق الدم في الأوعية الدموية على سطح البدن وبخاصة الأطراف والوجه فيحمر وجه الإنسان في أثناء الغضب بشكل واضح ، فيقول النبي الكريم صلي الله عليه وسلم (ألا إن الغضب بجمرة في قلب ابن آدم أما رأيتم إلى حمرة عينية وانتفاخ أوداجه) رواه الترمذي ، والغضب قد يعطل العقل عن التفكير السليم ، وكما قالوا : حبك الشيء يعمى ويصم .. وقد غضبت السيدة عائشة مرة بسبب غيرتها على النبي الكريم فقال لها (لقد جاء شيطانك)رواه مسلم والنسائي .

الحسد :

الحسد حالة انفعالية شائعة بين الناس وفى القرآن الكريم : { أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَـٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ }(النساء٥٤) ، وفي الحديث عن ابن عباس (إن لنعم الله أعداء فقيل من هم ؟ فقال : الذين يحسدون الناس على ما أتاهم الله من فضله) رواه الطبراني، وفي الحديث (الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب) رواه أبو داود وابن ماجة ، وفي الحديث أيضا (لا حسد إلا في اثنتين : رجل أتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها) رواه الشيخان والترمذي .

الغيرة :

الغيرة انفعال مكدر ينشأ عادة إذا شعر الإنسان بأن هناك شخصا ينافسه في الحصول على حب شخص معين عزيز عليه ، وفي الحديث الشريف الذي رواه البخاري والترمذي (إن الله يغار والمؤمن يغار وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله ، وفي الحديث الشريف الذي رواه أبو داود (من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يبغض الله فأما التي يحبها الله عز وجل فالغيرة في الريبة وأما التي يبغضها الله فالغيرة في غير ريبة) .

الحياء :

الحياء حالة انفعالية يشعر فيها الإنسان بالخوف والخجل من فعل ما هو مذموم ومستقبح أو غير مقبول دينيا ، وفي الحديث الشريف (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت) رواه البخاري وأحمد ، وفي الحديث (الحياء لا يأتي إلا بخير) رواه مسلم ، وعن عبد الله بن مسعود أن الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم قال (استحيوا من الله حق الحياء قلنا يا رسول الله : إنا لنستحيي قال : ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وأن تذكر الموت والبلى ومن أراد الأخرة ترك زينة الحياة الدنيا ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء) رواه الترمذي وأحمد والحاكم .

السيطرة على الانفعالات :

الانفعالات الأساسية تؤدى وظيفة هامة في الحياة فهي تساعد على التوافق من أجل حفظ الذات وبقاء النوع .

وانفعال الخوف : يساعد على الابتعاد عن مواقف الخطر وعلى توقع الخطر قبل وقوعه فيتخذ الاحتياطات اللازمة للوقاية منه ، والغضب يساعد على الدفاع عن الذات ضد ما يهددها بالأذى والضرر والهلاك ويساعد على التغلب

على الصعوبات ، والانفعال الشديد تصاحبه تغيرات بدنيه كثيرة قد تؤدى إلى بعض الأمراض البدنيه

ولذلك فإن النبي الكريم أوصى بعدم الانفعال : (فقد جاء رجل إلى النبي الكريم ﷺ وقال له : أوصني ، قال : لا تغضب فردهها مرارا ، فقال : لا تغضب) رواه البخاري ، وسأل النبي الكريم ﷺ أصحابه قائلا : (ما تعدون الصرعة بينكم ؟ قالوا : الذي لا تصرعه الرجال ، قال : لا ، ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب) رواه مسلم وأبو داود ، وقد نصح النبي الغاضب بالجلوس إذا كان قائما والاضطجاع إذا كان جالسا لأن ذلك يؤدى إلى استرخاء البدن مما يساعد على مقاومة التوتر فيذهب الغضب تدريجيا ، والحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ، ويقول النبي الكريم ﷺ (لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا) رواه الشيخان .

والحزن :

يحدث في الإنسان شعورا بالكدر والضيق ولذلك يقول النبي الكريم ﷺ (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن) رواه الستة إلا مسلم .

التوازن في الشخصية :

وهكذا يبين لنا النبي صلي الله عليه وسلم أن المسلم هو صاحب وظيفة عليه أن يؤديها بنجاح وذلك يستلزم إتباع المنهج النبوي في السلوك والتوازن في الشخصية حتى يكون قادرا على أداء وظيفته ، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها ، فالله تعالى رحيم بعباده وهو يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر ، فلكل من البدن والروح حاجات تتطلب الإشباع ولا بد من الموازنة بين الجانبين والإسلام يقر ترك بعض الفرائض والتكاليف إذا كان في أدائها ضرر بالبدن ويعتبر العمل عبادة ما دام يقصد به وجه الله تعالى ، يقول النبي الكريم صلي الله عليه وسلم (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم) رواه الشيخان

وهكذا يبين لنا علم النفس الحديث السلوك النبوي في إطار أداء المسلم لرسالته في يسر وفهم واتجاه إلى الخير وبذلك ينجح في أداء رسالته فيرضى عن نفسه ويرضى الله تعالى عنه ويعيش آمنا سعيدا في الدنيا والآخرة على السواء .

كتاب الإسلام واتجاهات الفكر المعاصر

لأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الفيومي

الإنسان في الإسلام :

مخلوق الله تعالى وقد أودع الله فيه علما وجعله خليفة في الأرض يقوم بعمارتها طبقا لمنهج الله تعالي .

والإسلام : يربط بين الجانب المادي والجانب الروحي في الإنسان ، يقول الله تعالي في ذلك : { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ * قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ } (البقرة ٣٠:٣٣) .

والإسلام بمقتضى هذا العلم مرتبط بالله تعالى وحده – وقد أعطى قدرة إعمار الأرض وقدرة الاتصال بالخالق سبحانه وتعالى – والصورة المثلي لدوام الحضارة وارتقائها ما كانت متجاورة مع الإنسان ، لذلك كان منهاج الإسلام للإنسان قائما على الارتباط بين الجانبين المادي والروحي .

وهذا الموضوع اهتم به الدكتور محمد إبراهيم الفيومي الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية في كتابه : (الإسلام واتجاهات الفكر المعاصر) وقد تحدث فيه عن الإسلام وعن التيار الماركسي والتيار الوجودي

ليصل في النهاية وبعد الدرس والمناقشة إلى أن الإسلام هو الدين الذي يصلح للإنسان في كل عصر وفي كل مكان .

وإن الفلسفات الأخرى للإنسان من جانب واحد – وهى لذلك لا تستطيع أن تصل به إلى الطريق السليم الذي يصل بالإنسان إلى بر الأمان ويجعله قادرا على أداء رسالته في أمن واطمئنان وسعادة .

التيار الماركسي :

الدين في نظر ماركس هو دين العجزة والقانطين – دين إنشاء الخيال ليخلق له في المستقبل جنة تعوضه كثيرا عما وقع عليه من ظلم – والعيوب التي أخذها ماركس على الدين – بلفظه العام – كانت مستوحاة من الواقع الاجتماعي الذي عاش فيه وعاشت فيه أوربا قبل ذلك ، وكان هذا معلوما عندما كان خاضعا لحكم طبقة دينية أظهرت دينها وكأنه مخدر للأمة .

والإسلام إذا تزعم الثورة على ماركس وأتباعه فإنما يثور على الإلحاد والتضليل الفكري ، وإذا كان من أهم الأشياء التي أشار إليها ماركس كيف يكون الإنسان وعمله يباع ويشتري وليست هناك أعمال تعبر عن ذاته فإن الإسلام قدم المزيد من العناية بالفرد في أعمال تنمى ذاته وأعمال تربط بينه وبين الجماعة .

فالإسلام يربط بين خدمة الإنسان لنفسه وعبادة الله تعالى وبين تحقيق الأهداف ، وبذلك يظهر تورط الماركسية في محاربة الدين ثم راحت تحل محله مبدأ الإلحاد العلمي ، وقد خلطت الماركسية بين الدين ورجاله ، فوصفت الدين بأنه مخدر ينطبق على دين الكهنة لا على دين الله تعالى الذي رفع من شأن الإنسان ورعى قيمه .

ويجب أن يكون منطلق الإنسانية كلها منطق الإسلام الذي يكفل للإنسان حريته وإرادته وذلك عن طريق الاعتقاد في الله تعالى ، لا مبدأ الحتمية ، يقول

الله تعالى : { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ } (البقرة١٨٦)

وقد أبرز الإسلام الاعتبار الإنساني باستخلافه في الأرض واختصاصه بالعلم وفيه الجانب المادي والجانب الروحي في الإنسان { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ } (الحجر٢٨-٢٩)

وانضباط السلوك البشري يكون بالأخلاق وبالاتصال بالله لا بالشرطة ، ومنفعة المال منفعة عامة لأفراد المجتمع جميعاً وإن كانت ملكيته ملكية خاصة .

التيار الوجودي :

الوجودية مذهب سخط معاصر وهناك عوامل الانحراف التي جعلت الوجودية علما يبعث الإلحاد ويقوم على عوامل مسخ الإنسان لنفسه بمسخ مفهوم الإنسان بجعله آلة نتيجة سيطرة الآلة والحاسبات الإلكترونية على كل شيء وأصبح مفهوما لديهم أن الإنسان لا يستطيع أن يقرر أمره لأنه خاضع لحسابات الآلة إنه آلة ضمن الآلة الكونية وما الكون في نظرهم سوى آلة ضخمة

ثم مسخ مطالب الإنسان بحصرها في المطالب المادية وحدها ، فإذا ما بعد الإنسان عن الناحية الروحية التي تصله بالسماء فإنه يكون قد فقد ذاته وأصبح يعيش في ضياع .

إلى جانب أن مسخ الإنسان بجعله ترسا في آلة تسويق باسم (تسويق اليد العاملة) بعد حصر الإنسان داخل مطالب مادية ، وقد أصبحت هذه المطالب المادية تعبر عن ذاته كما يقول : والوجود يحاول أن يرسم دائما مفهوم الإنسان غير أنه ينتهي إلى لا شيء إلا : أنا أحيا وأحيا فقط ، وهذا اضطراب في التكوين الفكري واختلال في التوازن الذي يوجد بين غاية الفكر ووسائله .

والإسلام يربط بين الصورة والحقيقة في الإنسان ، ويهذب من شأن النظرة إليها .

الصورة الأولى : { إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ } (ص٧١) أي أنه مخلوق من طين .

والحقيقة : { فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى } أي أنه حر فلا يدين لأحد غير الله تعالى ، وارتباك الإنسان في فهم نفسه كان نتيجة رفعه على العوالم الأخرى المصورة في قوله تعالي : { فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ } ، لذلك راح يهذب من شأن الفطرة التي قد لا تفهم على حقيقتها من وراء مغزى السجود ، فقال { ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ } (السجدة٨-٩) فالإنسان يحمل في نفسه الاعتقاد بأن الله تعالى كرمه وفضله على كثير من مخلوقاته .

والوجودية ترى أن الحياة الحافلة بالإيمان ما هي إلا وهم وخيال فهي حياة محدودة في الزمان والمكان ، والإنسان جاء إليها بدون إرادته فكأنه قذف إليها قذفا فهو لذلك يعيش في قلق دائم ، لكن الإسلام يرى أن الدنيا لا تساوى عند الله جناح بعوضة ، والله سبحانه وتعالى { ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ } (البقرة٢٥٧)

والوجود في نظر الإسلام مكون من وجود زمني في الدنيا ووجود أبدى في الآخرة.

والموت في نظر الإسلام هو النهاية الطبيعية للوجود الزمني ومرحلة انتقال إلى الوجود الأبدي .

مكونات الشخصية في الإسلام :

تتكون الشخصية في الإسلام من عدة عناصر :

العنصر الأول : عقيدة الوحدانية التي لها أثرها في النفس وفي السلوك ، فالإيمان بالله تعالى وحده يعنى الإيمان بالنظام في الكون والخضوع لإرادة الله تعالى في الكون ، وعبادة الله تعالى توحد بين البشر جميعا وتربطهم بالحرية والمساواة والإخاء ، وفي النهاية هي السبيل لطمأنينة النفس { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾} (الحجر٢٨-٢٩)

العنصر الثاني : مكانة الإنسان ومسئوليته ، فالإنسان كرمه الله تعالى وجعله سيد المخلوقات ومنحه حرية الإرادة التي تقابلها المسئولية ، وأرسل الله تعالى الرسل ليرفعوا من شأن اختيار الإنسان لتكون عنده القدرة والتمييز بين الخير والشر ، يقول الله تعالى { أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾} (المائدة ٣) .

العنصر الثالث : حياة الإنسان لا تنتهي بالموت وذلك يزرع في الإنسان الأمل المقترن بالعمل الصالح لنفسه ولأمته وللإنسانية جمعاء .

العنصر الرابع : تمتاز رسالة الإسلام بالشمول والتوحيد لطبيعة الإنسان الواحدة ، فالشمول القرآني يشمل الوجود كله ويتناوله زمنيا ومكانيا ، وتشريعه يربط بين المادة والروح ، بين الإيمان والعقل ، بين الدين والدنيا ، بين الفكر والعمل .

العنصر الخامس : الدين الإسلامي دين عملي يربط الإنسان بصورة عملية ففيه التشريعات التي تساعد على ضبط النفس وفيه ما يساعد على الروابط الاجتماعية من مستوى الأسرة مرتقيا بها إلى مستوى العالمية وفيه ما يرشح

الإنسان للخلود والأمن .

وهكذا تظهر لنا اتجاهات الفكر المعاصر في الإسلام وفى غيره ، ويوضح لنا أن المسلم يعيش في أمن وأمان واطمئنان وسكينة نفس ، يدعو الله على بصيرة ويجاهد في الله حق جهاده لينقذ الإنسان من الأفكار الهدامة ومن السير في طريق الهاوية .

الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة

عنوان كتاب للأستاذ عبد الرحمن بن معلا اللويحق عالج فيه مشكلة الغلو في الدين التي تؤرق المجتمعات الإسلامية في عصرنا الحاضر وقد تحدث عن الأسباب ورسم طرق العلاج .

ترى ما مقياس التدين ؟

سؤال يجيب عليه مقدم الكتاب فضيلة الأستاذ الشيخ زين العابدين الرابي الذي يقول للتربية الحق مقياسان : مقياس الاستجابة لمطالب المنهج ومقتضياته ، ومقياس الطاقة والوسع والمقياسان مترابطان متكاملان والاستجابة للمنهج مشروطة بالقدرة في المجال العلمي ؛ والغلو منزع شاذ لهذين المقياسين .

والإسلام يقوم علي ثلاث حقائق :

الأولى : حقيقة العلو والعصمة في مصدر التلقي

الثانية : حقيقة وضوح المنهج

الثالثة : حقيقة الاستقامة على المنهج

والإسلام جاء لراحة الناس وسعادتهم – ولكن أنا سأبعددوا عن الحق بسبب الشطط في العلاقة بالدين : فهما واعتقادا وسلوكا .

معنى الغلو :

ترى ما المقصود بالغلو في الدين ؟

سؤال يجيب عليه المؤلف الفاضل بقوله : يرى بعض الناس أن المغالين هم المعرضون عن شرع الله في مجرد التمسك بالواجبات الشرعية المعلومة من الدين بالضرورة كالمحافظة على الصلوات غلوا مخرجا عن حد الاعتدال .

بينما يرى الغلاة : أن ما هم عليه هو الاعتدال وما يمارسه الآخرون هو الغلو ، والغالي يقسم في أخذه للدين بالشدة وفي معاملته للآخرين بالعنف ، ويقسم بالتقطع والتعمق في أفعال الدين .

الغلو في العصر الحديث:

الغلو في العصر الحديث وليد السجون والزنزانات الانفرادية – ولم يكن مع هؤلاء قرآن ولا كتاب – إلى جانب أنهم غير متخصصين في العلوم الشرعية

ثم إن الغلو ما هو إلا انعكاس لأوضاع يعيش فيها الناس مثل غياب شرع الله عن الحكم وغربة الإسلام في ديار المسلمين واستخدام القسوة والعنف مع التيار الإسلامي واستخدام اللين والتدليل مع أعداء الإسلام والمسلمين والاتهام للإسلام والاستهزاء بالقضايا المنسوبة إلى التيار الإسلامي في وسائل الإعلام والتحلل الأخلاقي والأوضاع الاقتصادية وسوء توزيع الثروات وانهيار قيمة العمل وغياب دور العلماء والتغريب والعلمنة والهزائم السياسية والعسكرية والتآمر على الدين الإسلامي وغلبة الحياة المادية .

والغلو في هذا العصر ما هو إلا رد فعل لأوضاع شاذة خاطئة تحياها المجتمعات الإسلامية .

ولاحظ المؤلف الفاضل أن حوادث غلو النصارى في مصر أكثر من حوادث غلو المسلمين وأن مشكلة الغلو عند المسلمين مضخمة أكثر من حجمها الطبيعي – إلى جانب أن تيار الغلو عند الأقباط يتقدم في وجوده على تيار الغلو عند المسلمين ، ويتمثل التيار القبطي الأب المعاصر للكنيسة القبطية الذي كانت دور له في كثير من الأحيان وخطبة تتعرض للقضايا السياسية والاجتماعية ، وأصبح

التيار الذي يتزعمه قيادي بأن تكون للكنيسة ذاتيتها في مواجهة الدولة ومؤسساتها ، ومع ذلك فلم يوصم بالغلو ولم يتعرض له أحد بالنقد ويأخذ هو وتابعيه حريتهم الكاملة في القول والفعل إلى جانب اتهامهم الجامعات الإسلامية بالغلو والتطرف ومحاربة المسيحيين .

الأصولية :

الأصولية في الغرب تعنى التمسك الحرفي بالإنجيل ، وأبرز صفات الأصولية الاهتمام بالجانب السياسي والاستيلاء على الحكم والامتناع عن بعض المحظورات كشرب الخمر والرقص .

وتدل كلمة الأصولية في الغرب بمجتمعاته المختلفة على الازدراء لأن الأصولية – في رأيهم – تدل على ضيق الأفق والتعصب الأعمى والنزعة المناهضة للتقدم وانتشار العلم والنزعة الطائفية وانتقال مصطلح الأصولية إلى البلاد الإسلامية .

والغربيون يعدون الشيعة – بعد الثورة الإيرانية- من أبرز الأصوليين في العصر الحديث

ويقولون : إن عدم الفصل بين الدين والحياة من الغلو، ونظروا إلى ذلك من الناحية السياسية

وقالوا : إن الدعوة بالعودة إلى الله وتطبيق الشريعة الإسلامية من الغلو وكذلك جهاد الكفار واليهود والنصارى .

ولا يعدون ما يحدث للمسلمين في الهند ولا في البوسنة والهرسك أو غير ذلك من الغلو، ولا يعدون محاربتهم للإنسانية والتقدم العلمي والتطور من الغلو، ولا يدارون خططهم ولا أهدافهم التي يعملون على تحقيقها في العالم الإسلامي .

يقول بوجين رستو رئيس قسم التخطيط بوزارة الخارجية الأمريكي ومستشار الرئيس جونسون في الستينيات (لا تستطيع أمريكا إلا أن تقف في

الصف المعادي للإسلام أي إلى جانب العالم الغربي والدولة الصهيونية لأنها إن فعلت غير ذلك تكون قد تنكرت للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها ...إن هدف العالم الغربي في الشرق الأوسط هو تدمير الحضارة الإسلامية فإن قيام إسرائيل جزء من هذا المخطط) .

المؤسسات التعليمية الأجنبية : وفي مرحلة مبكرة أقاموا المؤسسات التعليمية الأجنبية في وسط البلاد الإسلامية وجذبوا إليها الفتيان والفتيات من المسلمين وكان من أهدافها :

١. الاستعمار طريق تغيير الأفكار والموارد الاجتماعية تحمل في طياتها المؤثرات النصرانية .

٢. نشر اللغات الأجنبية الذي يساعد على نشر ثقافة ذلك البلاد .

وقد أصبح المتخرجون في هذه المدارس الأجنبية يشرفون على التعليم والتوجيه الرسمي ، وقاموا بالضغط على الثقافة الإسلامية في برامج المدارس وفي الوظائف الحكومية .

كما أصبح الكثيرون من خريجي هذه المدارس صحفيين وكتابا ينشرون كل ما هو مخالف للقيم الإسلامية كالصور العارية وارتداء أحدث الأزياء الغربية ونشر المبادىء الإلحادية الهدامة والإسراع بنشر كل ما هو غربي من العادات والتقاليد .

يقول المستشرق الإنجليزي هاملتون جب (لقد استطاع نشاطنا التعليمي والثقافي عن طريق المدرسة العصرية أن يترك في المسلمين –على غير وعي منهم– أثرا يجعلهم في مظهرهم العام لا دينين إلى حد بعيد ، وقد أخذت دائرة نفوذ الإسلام على حياة المسلمين الاجتماعية تضيق شيئا فشيئا حتى انحصرت في طقوس محددة .

الوثيقة الروسية : وقد نشرت مجلة العلم والدين الروسية في عددها الصادر في أول يناير لسنة ١٩٦٤ خطة الشيوعية الكاملة للاستيلاء على العالم الإسلامي

ثم ذكرت في نهاية الوثيقة ما يأتي (وفي المحيط العربي كله يعمل أنصارنا بجد – وقد استطاعوا أن يصلوا إلى المناصب الرئيسية في الوزارات وفي الإدارات الحكومية والشركات والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية – وعلى مر الأيام يزداد عدد أنصارنا الذين يتولون المناصب ذات الأثر الفعال في إيجاد الجو الصالح للتحرك الثوري – وحسب تعليماتنا لهم جعلوا من الوزراء والمسئولين الذين لا يشك في إخلاصهم للنظام الرجعي الحاكم المعادي للشيوعية واجهة يعملون تحت ستارها ما يريدون في أمن وطمأنينة مع اليقظة والحذر من أن تحوم حولهم الشكوك لأنهم يتسترون بأولئك المسئولين) .

يقولون هذا في صراحة وينشرونه في صحافتهم ولا يدارون ، بينما شباب الجماعات الإسلامية في السجون والمعتقلات يعذبون بأيدي المسلمين ، ومن هنا نشأ الغلو في السجون والمعتقلات والزنازين لأن الشباب أحس بغياب شرع الله عن الحكم وغربة الإسلام في ديار المسلمين ونشر الأفكار غير الإسلامية في أجهزة الإعلام والتحلل الأخلاقي وتردى الأوضاع الاقتصادية وسوء توزيع الثروات وانهيار قيمة العمل وغياب دور العلماء والتغريب والعلمنة والهزائم العسكرية والسياسية والتآمر على الدين الإسلامي وغلبة الحياة المادية .

التكفير: ويبدأ الشباب المعذب يتساءل : هل يمكن أن يكون الحاكم الذي يقوم بهذا العمل مع رجاله من المسلمين ؟ إن الكفار لا يفعلون مثل ذلك فكيف يفعله المسلمون ؟

وذلك مزلق خطر وللشباب عذره في ذلك ، والكفر نوعان :

١. كفر أكبر : وهو الموجب للخلود في النار وهو كفر التكذيب وكفر الإباء والاستكبار وكفر الإعراض عن منهج الله وكفر الشك وكفر النفاق .
٢. وكفر أصغر : وهو الموجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود في النار ويتناول جميع المعاصي فكما أن الطاعات تسمي إيمانا فإن المعاصي تسمي كفرا .

والتكفير مزلق خطر والنبي ﷺ يقول في الحديث الذي رواه البخاري : (إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما) .

يقول الكاتب الفاضل في مقدمة كتابه [القلق الإنساني] : (ترجع قصة هذا البحث إلى سؤال دار بخلدي هو : لم استهدفت الحضارة الحديثة إلغاء الدين ؟ وهل الدين مرحلة حضارية أم حياة ضرورية ؟ وكيف يعالج الإنسان هذا البحث ؟ هل يقوم بالمقارنة بين الدين وبين شتى مجالات الفكر الإنساني ؟ وهل لو سار الإنسان بمقتضى هذا المنهج يمكنه أن يصل إلى شيء؟ وقد رأيت من الأنصاف لبحث هذا الموضوع أن يوضع في الاعتبار أمران :

١. قيمة العلم وضرورته في بناء الإنسان .

٢. قيمة الدين وضرورته في بناء الشخصية الإنسانية .

ويجب ألا نضحي بأحدهما في سبيل الآخر .. وقد أخذت في البحث حول الإنسان – وهل سعد بالاتجاه المادي أم مرض ؟ وما مظاهر ذلك ؟

من الممكن أن نقول إنه سعد في ظواهر التقدم في مجال الأرض ، والفضاء ، ومحاولة القضاء على الفقر والجهل والمرض – ولكنه مرض – ومن مظاهر ذلك شيوع القلق والسخط على الحياة والشعور بالغربة والكآبة وأزمة الأخلاق ، وفوضى مذاهبها – ومعنى ذلك أن الحلم له قيمته وضرورته ولكنه ليس كافيا لإسعاد الإنسان – والعناصر الأساسية في الإنسان هي الجسم وما وراء الجسم .

وفي الباب الأول يتناول كاتبنا مفهوم القلق فيقول : القلق ظاهرة تاريخية ، ويظهر في كل جانب من جوانب الحياة المادية والروحية – والمدارس الفلسفية على اختلاف ألوانها ما هي إلا محاولات الإنسان للوصول إلى حل مناسب لعلامات الاستفهام العريضة ألبسته ثوب القلق في نفسه حب البحث والمعرفة .

وفي العصر الحديث حالة الإنسان تقلب وملل وقلق ، والقلق هو أزمة الحضارة الحديثة وتساءل العلماء ما أسباب هذه الأزمة؟ وعن أي شيء تبحث؟

وما الذي جعل من القلق خطرا انتاب الإنسانية وجعلها غير واعية التي قيمها؟ وأعطانا أمثلة لما يظن انه سبب القلق ثم قال وللازمة وجه خلقي عندما أصبحت الأخلاق بحثا عقليا وتعددت القيم العقلية حول القيم والأخلاق والإلزام ويمكن أن ننظر إلى الأزمة على إنها أزمة العلم والتكنولوجيا.

ثم يعرض أراء الغربيين في أزمة القلق – فمنهم من يرى أن المشكلة مشكلة قيم ومنهم من يرى أن المشكلة هي اتجاه التغيير للأشياء – ومنهم من يرى أن المشكلة هي الثقافة السطحية – ثم يقول : أن الشيخ عبد الحليم محمود يرى انه لا مخرج للإنسان إلا بالدين .

هناك قلق طبيعي ملازم للإنسان – فالإنسان بين حالين ملل وقلق – والإنسان قلق حتى في أحواله العادية وهو قلق طبيعي يبعث على النشاط ويربط الإنسان بأمله وهو ليس مزعجا وهناك عدد من الناس يقضون معظم حياتهم في حالة متصلة من القلق الدائم – ولعوامل قد تستدعى شيئا من القلق المحدود عند الأسوياء – وربما لم يكن مستندا إلى حقيقة واقعة – وهذا هو القلق المرضي .

ثم عرض لعدد من تعريفات القلق واختار له تعريفا هو : حالة من التوتر العامل الذي ينشأ من صراعات الدوافع بعضها مع بعض وفرق بين الخوف والقلق – فالخوف رد فعل لخطر معروف وواقعي ويكون خارجيا – والقلق رد فعل لخطر غامض غير معروف ويكون ذاتيا ومتوهما .

وآثار القلق تظهر في أشياء منها التوهم ومنها ازدياد نشاط الجهاز الهضمي ومنها الاستهانة بالحياة ومنها الجمود الذهني .

ثم تحدث عن مفهوم القلق في الاتجاه الصوفي والوجودي وذكر له تعريف الغزالي الذي يقول : (حقيقة القلق سرعة الحركة لنيل المطلوب مع إسقاط الصبر وعند الهروي : تحريك الشوق بإسقاط الصبر .. كما تحدث عنه في الاتجاه الفلسفي فقال : انتهى علماء النفس إلى أن القلق شعور يلحق بكل إنسان وقد

يكون طبيعيا وقد يكون مرضيا وينتشر بالعدوى كعدوى أي انفعال ومصدره شعور الإنسان بالعجز والضعف أو الفقد) .

إن قضايا القلق الفلسفي هي الله واليقين والإنسان والكون والإنسان والفلسفة ، إن أساس المشكلة كما وصفها بسكال هو عدم الاتزان بين الثنائية المادية والروحية وموقف الإنسان منها – والفلسفة الألمانية ترى أن ثمة تباعدا بينهما – وقد ظهر في العصر الحديث فلسفات جديدة كانت نتيجتها ظهور ثلاثة اتجاهات :

١. رغبة الفيلسوف في اكتشاف تركيبة الحقيقة بأن يميز بين مستويات الوجود المختلفة .
٢. الرغبة الدينية في نقل الطبيعة الإلهية إلى مكان بعيد قدر الطاقة عن أية صلة بالمادة .
٣. الرغبة الجدلية في تبرير الوثنية في وجه الدين .

ونتيجة لذلك أصبحت الحياة قلقة نتيجة لصراع عاملين : مجموع الظروف المحيطة والحالة التركيبية الحالية للفرد .

والفلاسفة يعبرون عن الاتجاه المادي في الإنسان والصوفية يعربون عن الاتجاه الروحي في الإنسان – وهذا يؤكد إثبات الثنائية أي أن الإنسان مادة وروح ويؤكد الإجابة الدقيقة على السؤال وهي أن الوجودية بقلقها الكئيب هي نتيجة لظروف العصر .

وأستطيع أن أؤكد أن القلق المعاصر أزمة عصرية هي الأزمة التي تعني عدم الاتزان في التقدم الحضاري لأن تقدم الحضارة انحصر في التقدم المادي وتخلف عنه في الجانب الروحي والقلق يقوم على أساسين :

الأول : أن في الحضارة أساسا فكريا قويا جبارا – وهذا من ثمرة الكفاح الإنساني الطويل نحو سيطرته على الطبيعة .

الثاني : أن في الإنسان أزمة تسمى اضطرابا قلقا في شي ما .

فالمشكلة في الإنسان وحضارته من حيث الاهتمام بالجانب المادي – مع إلغاء الجانب الروحي وتلك هي مشكلة الإنسان المعاصر .

والقلق أزمة إنسانية أساسها عدم الاتزان الفكري بين ثنائية الحياة المادية والروحية .

وتحدث الكاتب الفاضل عن القلق والشك والعلاقة بينهما وتعريفهما عند فلاسفة المسلمين وفلاسفة الغرب

وقال : أن موضوع الشرك يتعلق بالأفكار في مثل الإنسان والله والمعرفة – كما تحدث عن أسبابه عندهم وعن علاقة الشك بالقلق وعن الصفات العامة للشك والقلق .

وفي الباب الثاني تحدث عن مصادر الشك وتياراته وقال : إن المصدر الأول للقلق هو محاولة إلغاء الدين في الفكر اليوتبي (المدينة الفاضلة) وفي التيار الكهنوتي وفي التيار الهليني وفي التيار الماركسي .. وقال: إن خطورة نظرية ماركس ترجع إلى أمرين :

الأول : أن الماركسية قدمت نظريتها كحل بديل للرأسمالية الأوربية .

الثاني : إنها نظرية قابلة للتطبيق الأمر الذي جعل منها فكرا له خطره .

وتعتبر الماركسية الصيغة النهائية للحركة الأوربية في أسسها وتلك الأسس هي :

١. الاتجاه إلى الطبيعة بدلا من الله .

٢. الاعتقاد بأن الكائنات الحية تتبع في تطورها قانونا حتميا أو قوانين مادية كما تشير نظرية دارون .

وموقف روسيا الشيوعية من الدين فيه عنف وفيه تزوير للحقائق ، وكان هدفها دائما محو الدين من الحياة السوفيتية محوا كاملا .

وقد بدأ الشيوعيون حملتهم ضد الكنيسة بمنازعات داخلية علنية بين إتباع

ماركس ورجال الكنيسة – ثم جاءت فترة الضغط المكشوف (اعتقال واضطهاد ونفي) الموجهة في الدرجة الأولى ضد الزعماء الدينيين ، وكان معظم الدعاية ضد الدين يتألف في البدء من الاستخفاف بالدين عن طريق محاكاة الطقوس الكنسية وتقليدها تقليدا رمزيا .

ومن الطرق المفضلة لدي الشيوعيين مساواة الدين بالخرافات – ومن مظاهر التزوير في الدعاية السوفيتية ضد الدين قولهم : أن الدين قد أصبح عديم الفائدة وانه يموت تدريجيا وانه يضعف وعي العمال ويخدم المستغلين دائما وانه ينافي العلم وانه يعتبر حاجزا بين الشعوب لفرضه البعض بين الطبقات وأن العلم قد اثبت أن الله لم يخلق الإنسان بل أن الإنسان هو الذي خلق الله .

المصدر الثاني للقلق – محاولة إلغاء العلاقة بين الحياة المادية والحياة الروحية وقد ظهر هذا الاتجاه أولا كرد فعل عنيف على الفكر الكنسي وتطور حتى انتفض كل فكرة ميتافيزيقية – ونتيجة لهذا التطرف ظهر الاتجاه العقلي ثم دعوات تأليفية للربط بينهما وهذا المصدر له تياران :

١. تيار مادي .

٢. تيار عقلي .

والاتجاه الفلسفي المادي أدى إلى القلق بحسب مسائله من حيث أن التقدم التقني زاد من قوي الغرائز الحيوانية – وأن الاتجاه الفلسفي شككنا في الدين أعرق جانب في الكون الأساسي للحضارة وعنصر الأمان فيها.

والتيار العقلي ينطوي على تيارين التيار العقلي العلمي والتيار العقلي الفلسفي ، وقد أفادت التيارات العقلية في مجال الفكر الرد بعنف على المادية وشحن الجو الفكري بجدل عنيف حول مفهوم الحقيقة – وفي مجال القيم تشكك العقل في المعتقدات الدينية وانتصر العقل وانخفضت القيم الخلقية – والله ممكن ولا ممكن ولا علاقة له بالعالم وبعيد عن مجال البحث الإنساني .

والمصدر الثالث للقلق : شعور الإنسان بأنه مسئول عن تنظيم الوجود باسم النزعة الإنسانية على الرغم من أن الفكر الحديث انتهى إلى ثنائية متعادية - غير أنهما اتفقا على الدعوة باسم النزعة الإنسانية .

وأهم خواص النزعة الإنسانية :

- هي إنها تبدأ فتؤكد أن معيار التقويم هو الإنسان - والإشادة بالعقل ورد المعرفة إليه وتمجيد الطبيعة وأداء نوع من العبادة لها (عبادة الرهبة والخوف من جبروتها)
- التقدم إنما يتم بالإنسان نفسه وقواه الخاصة .
- النزعة الحسية الجمالية التي تميل إلى الرجوع إلى العاطفة وإدراك الوجود في بعض أنحائه .

وقد اتخذت مكافحة الاتجاه المادي تيارين :

١. مكافحة ضد سيطرة العالم .
٢. مكافحة من أجل إنقاذ استغلال حياة الروح .

ولهيجل محاولات في الربط بين الثنائية الذي استخلص الديالكتيك من مفهومه للحقيقة النهائية - والتيار الثاني تيار المدرسة الوضعية والتيار الثالث تيار المدرسة الاجتماعية والنفسية التي ترى أن الدين وضع إنساني بحت وضع لغاية لجأ إليها الأنبياء وهي إصلاح البشرية وإقامة العمران والقول بإنسانية الدين أدى إلى شيوع خطأين :

الأول : الإنسان أولا وأخيرا .

الثاني : لا علاقة بينه وبين الله .

المصدر الرابع للقلق : شعور الإنسان بضعفه - ولهذا المصدر عدة تيارات : القلق المعرفي والقلق الأخلاقي والفلسفة التي تصوغ ضعف الإنسان وغربته - وقد أدت هذه المصادر وتياراته إلى الشعور بالرغبة - والحركة الأدبية تعبير عن

العزلة وعن الانفصال بين المجالين الموضوعي والدفاعي والذاتي .

ومن مظاهر القلق والغربة فوضي الآراء والمعتقدات وفوضى القيم الأخلاقية .

وفي الباب الثالث تحدث الكاتب الفاضل عن علاج الدين للقلق وقال أن العلاج يطلق على ثلاثة طرق كما اطلق علماء مناهج الصحة الجسمية طريق علاجي وطريق وقائي وطريق إنشائي . والسعادة الحقة تكون في التوازن الانفعالي والهدوء العاطفي . والاتزان الفكري هو ما يهدف إليه من وراء كلمة علاج – وهو ما يعرف بالمنهج الإنشائي الذي يستهدف زيادة كفاية الفرد وتطمين شعوره بالقدرة والسعادة بإتباع الطرائق المؤدية إلى تقوية الإرادة أو الخيال أو الذاكرة أو الشخصية .

ثم تحدث الكاتب عن ضرورة الدين من خلال التيارات الفكرية :

أولا : من خلال التكوين الثقافي لأن الدين ينطوي على جانبين – جانب عقدي وجانب عملي – وفضلا عن ذلك فيه معنى الرسالة والرسول والوحي والعلاقة بالله .

وثانيا : ضرورة الدين من خلال المشاكل التي تثار حوله مثل الدين والفلسفة والدين والعلم والدين والتطور والدين والفن والدين والشيوعية والدين والوجودية والدين والدولة .

والدين شيء أصيل جوهري في حياتنا يوزن بميزان الضرورة في حياة الإنسان والشواهد على ضرورة الدين من :

ناحية المنهج : فالمحور والمركز الثابت في حياة الإنسان هو الدين – به تقاس المذاهب والنظم – ويكتب لها بوحي من الدين الاستقرار أو الاضطراب .

خلال المواقف حول الدين : أن المجتمع الإسلامي كان زاخرا بألوان شتي من الثقافات المختلفة وفنون العلم وماج بطرائق من المفكرين مؤمنين موحدين

وملحدين مبدلين وشاكين إلى الكثيرين ممن ينزعون نزعات مختلفة .

ترى هل على الدين خطورة من مثل تلك القضايا لقد كان الدين قويا وكذلك كانت الدولة قوية ورجالها كذلك – وكانت الحضارة مكتملة زاهية .

من خلال الفلسفة المادية : إذ إنها في صراعها مع الدين أضافت إلى نفسها قصورا وفجوة لأنها أقصت التقدم الروحي حتى أصبح للإنسان أكثر من مفهوم – الأمر الذي جعل هذه الحضارة على حافة الهاوية كما يرى المؤرخون لها – فالقلق المعاصر صحوة تشير إلى أهمية الدين ونظرة نقد بصيرة إلى تجديد مفهوم التكنولوجيا بالنسبة إلى تحديد مفهوم الإنسان وإن في الإنسان جانبا لا يغفل هو الذي يلجؤه إلى الدين .

من خلال التفكير الماركسي : جاء ماركس ليعالج القلق في مجتمع به قلق ، ولكن علاجه زاد من حدة القلق حينما جعل الدين عضوا في تلك الحكمة القاتلة للجنس البشري وعندما رأى الدين يقرر العدل وله وسائله الشريفة أنكره وإنكاره الدين معناه استمرار ظاهرة القلق فضلا عن نتائج سوف تظهر من تطبيق نظريته فواصل طبقية من نوع جديد هي الحقد والبغضاء ، وقد وقعت الماركسية في خطأ عظيم حيث ربطت بين الدين ورجال الكنيسة ربطا لا يقبل الموازنة أو المقارنة وحملت الدين كل تصرفات رجال الكنيسة ربطا لا يقبل الموازنة أو المقارنة في العصور الوسطي مع أنهم لم يخلطوا بين النظرية والتطويق في الماركسية فقالوا اللينينية والصينية الخ – فلو فعلوا ذلك مع الدين لعرفوا قيمة العلم الدين .

إن دين الله الذي رفع من شأن الإنسان ورعى قيمة هو بعيد عن هجاء ماركس – والإسلام والأديان الأخرى لا يمكن إطلاقا أن تتفق والجبرية الاقتصادية أو التفسير المادي للتاريخ اللذان يعتبران أساسيين في المذهب الماركسي فالإنسان في جوهره موجود روحي ذو صلة بالله ومن ثم كان كائنا

أخلاقيا حرا والله هو المتصرف في الحركات التاريخية .

من خلال الدور التركيبي بين الفلسفات المتعادية : فارتباط الفلسفة بقضايا الدين يؤكد ضرورة الدين مع بيان وظيفته – كذلك محاولات المدرسة الوضعية نحو تأسيس ديانة جديدة أساسها الإنسان وحده تعطى أهمية للدين وأنه أمل المستقبل .

وهناك تلازم تاريخي بين الإنسان والدين – فقد بدأت الدراسة النقدية للدين وبدت تساؤلات عن أصله ومنشئته وشاء لهذه الدراسات أن تصل إلى النتيجة التي هي التلازم التاريخي بين الإنسان والدين – فالرأي الأول : هو أن الأساطير هي أصل الدين بين المنهج ، والرأي الثاني : أن عبادة الأسلاف هي أصل الاعتقاد بالأرباب ، والرأي الثالث : إن السحر هو أصل العبادة وأصل الشعائر الدينية – والرأي الرابع : يعلل العقيدة الدينية بضعف الإنسان بين مظاهر الكون وأعدائه فيه – من القوى الطبيعية والإحياء فلا غني له عن سند يبتدعه ليستشعر الطمأنينة بالتعويل عليه – والرأي الخامس : رأى فرويد الذي يعدد ديانات الإنسان جميعا في عداد الأوهام الجماعية – والرأي السادس : رأى برجسون الذي يرجع العقيدة إلى مصدرين احدهما اجتماعي لفائدة المجتمع أو فائدة النوع كله والآخر فردي يمتاز به أحاد من ذوي البصيرة والعبقرية الموهوبة.

وذهب كثير من العلماء إلى أن فكرة الله أو الدين إنما هي فكرة مضطربة وجدت مع الإنسان وتوصل إلى النتائج الآتية : الدين فطرة في الإنسان والوحدانية أقرب إلى الفطرة وفي نفس الوقت هي الدور الحضاري لكل عقيدة والأديان الكتابية هي التي بلغت بالتوحيد الغاية وامتزاج عقيدة الروح بكل دينية، وإذا كانت الإنسانية في جميع أطوارها تخلت عن الاعتقاد فمعني ذلك إن في الطبع الإنساني جوع إلى الاعتقاد كجوع المعدة إلى الطعام – وهذه الأبحاث تهدينا إلى ما يقرره القرآن تاريخيا للحياة الدينية في الإنسان وهو أن الدين

{ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ يَعْلَمُون * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ } (الروم ٣٠:٣١) .

وهناك تلازم وجودي بين الإنسان والدين لإحقاق التوازن مع ملاحظة أن التقدم العلمي الذي يساعد على اهتمام الإنسان بالجانب المادي أدي إلى أن الاتجاه الفكري اخفق تماما في تحقيق طمأنينة الإنسان فشعر الإنسان بالغربة والعزلة وأعرب بذلك عن حاجته الماسة إلى تأمل الكون تأملا روحيا ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالدين لأنه هو الأساس الإلهي للعلاقة بين الثنائية ، وأساس التوازن بين الوجود المادي والوجود الروحي ، وهذا التوازن هو الهدف الحقيقي من الرسالة الإلهية وإرسال الرسل، وإذا كانت حياة الإنسان الحقيقية متصلة بالله تعالى وعجز عن إدراكها ، فالدين هو الذي كشفها له عن طريق الوحي الإلهي .

وهناك ثلاثة أسس يقوم عليها الدين الأساسي :

الأول وجود الله تعالى – وقد جرت سنة الله على أن يكون الدين رسالة سماوية إلهية إلى الإنسان على يد رسوله – فمن هنا قلنا أن الأصول الدينية ثلاثة على أساس أن الدين عبادة والعبادة تقتضى معبودا (الله) وعلاقة رسول وعابد (الإنسان) فالدين متصل بالله تتصل به المخلوقات ولا انفصال بين الدين وبين الإنسان والإله – فقضية وجود الله وتنزيهه كمعمل عقلي بحت ليس من اختصاص العقل ورأينا أن من أهم مصادر القلق محاولات العقل إثبات المجال الروحي أو نفيه .

الأساس الثاني : الرسول ومن أهم مقوماته الوحي والمعجزة فهما من الأساسيات الضرورية للرسول وهى ليست صفات شخصية بقدر ما هي تعبير عن جانب آخر غير العقل منحها الله إياه .

والوحي عمل غير عقلي لدوام العلاقة بين الله والناس على نهج روحي ولتنظيم علاقة ثنائية الإنسان بين روحه وجسده وبين مقاصد الروح ومطالب الجسد وعلاقة الإنسان بالله .

والمعجزة أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى على يد مدعى النبوة – وكأن الله يقول (صدق عبدي في كل ما يبلغ عنى) وهي لذلك تلزم الناس بتلك التعاليم وإعلامهم أنها من الله .

الأساس الثالث الإنسان : والإنسان حيوان متدين – وقد قامت أبحاث فجر النهضة الأوربية لتقصي ظواهر تلك الصفة وأسست في سبيل ذلك علوما لدراسة هذا الفرض مثل : علم الأديان المقارن وعلم الاجتماع الديني وعلم تاريخ الأديان وعلم النفس الديني – وكان الغرض من هذه المحاولات التقصي لإثبات خرافة الدين وتبرير موقف أوروبا العلمي وإحلال الإلحاد العلمي محل الإيمان الديني – ومع ذلك فقد انتهت أبحاثهم إلى أن الدين حقيقة إلهية لحقيقة إنسانية وليس تصورا إنسانيا – وأن هناك شيئا ماديا وشيئا وراء المادة فالثنائية لا وجود لها إلا بالجمع والفصل بينهما خروج عن الشكل الطبيعي للإنسان ، ففي الثنائية فصل وجمع ولا يحكم الفصل والجمع بينهما سوى قوة أخرى لها قدرة الاحاطة بخصائص تلك الثنائية – وهذا من أدق ما أجاب به القرآن على السائلين عن الروح { وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى } (الإسراء٨٥)

الإنسان كائن قادر على السلوك العقلي والحكم على الأشياء والتقرير الإرادي الاختيار الأخلاقي ، والقرآن يدعم هذه الحقيقة الروحية بتقريره أن الله قد خلق الإنسان ليكون خليفة له في الأرض ، ولقد أقيم الإنسان على الأرض ليسيطر على سائر المخلوقات التي جعلها الله تعالى خاضعة لارادته وقوله تعالى

{إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً } (البقرة٣٠) فيها إشارة تقرير لمهمة الإنسان في الأرض – وقد عمرها واغرم البحث فيها فكشفها واستبان له بطنها وتكشف الظلام عن فجر المعرفة الذي استوضح فيه الإنسان أفاقها وهو ما زال يرقي مراقيها يوما بعد يوم مما يؤكد لنا أن الإنسان نجح في مهمته وهو في نجاحه يؤكد على أنه مخلوق لله مكون من قبله بما يكفل له عوامل النجاح في محاولات الوجود .

والعلاقة بين العالمين تقوم على ربط الإنسان بالله تعالى وأن على الإنسان واجب العبادة والعناية بالشؤون الروحية – وتكريم الإنسان على الطبيعة وعلى سائر الوجود وأن الطبيعة مسخرة له وعالم الغيب من أهم خصائص الدين الإسلامي فإنه لم يكتف بالإشارة إليه فقط – بل شرح ووصف على خلاف الأديان السماوية الأخرى .

ويعنى الإسلام من عالم الشهادة توجيه الإنسان نحو العناية بشؤون نفسه وشؤون العمران في الأرض مع الارتباط بالأخلاق – ويعني الإسلام بتنظيم العلاقة بينهما .

والتكفير يترتب عليه عدم حل الزوجة ووجوب المحاكمة لتنفيذ حد الردة وإذا مات لا يجرى عليه أحكام المسلمين .

رحمة للعالمين : لقد بعث الله نبيه ﷺ رحمة للعالمين ويسرا للناس أجمعين وبعثته كانت رأفة ورحمة بالناس ، وكان لذلك يترك بعض الأعمال خشية أن يشق على أمته ومن ذلك أنه لم يخرج للناس ليصلى التراويح خشية أن تفرض على الأمة وقال لمعاذ بن جبل وأبو موسي الأشعري حين بعتها إلى اليمن (يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا) .

والإنسان له في ذاته أن يأخذ نفسه بالأشد من المشروع ، ولكن ليس له أن يلزم الناس بهذا .

والضلال نشأ من أصلين :

١. اتخاذ دين لم يشرعه الله

٢. تحريم ما لم يحرمه الله

والإسلام لم يسن الحرب الدائرة بين طائفتين من المسلمين جهادا بل قتالا – وهو مذموم من كلتا الطائفتين – وقتال الفئة الباغية قتال لاجهاد مع أنه محبوب

مظاهر الغلو :

وفي قليل من الجماعات المتطرفة ظهرت مظاهر للغلو مثل تحريم التعليم في المدارس وتحريم الصلاة في المساجد وإيقاف صلاة الجمعة واعتزال المجتمعات وتحريم الوظائف الحكومية وهذه المظاهر تحتاج إلى أن يحس هؤلاء الشباب بالأمن في مجتمعهم ثم بتنظيم لقاءات بينهم وبين من يثقون به من العلماء لمناقشة هذه الأفكار – على أن يطمئن هؤلاء الشباب إلى أنهم يعيشون بين مجتمع يحبهم ويخاف عليهم ، ويحب الإسلام ويتمسك به .

حينئذ تضيق الهوة بينهم وبين الحطام ويبدأ السير في الطريق السليم ، ويساعد على ذلك الخطوات التي تتخذ في تنفيذ أحكام الإسلام على الجميع وجعل وسائل الإعلام تسير في الطريق السليم ، وجعل التعليم سائر على المنهج الإسلامي وإلغاء قوانين الطواريء وتحقيق الغذاء للمجتمع وسداد الديون .

حينئذ يمكن للمجتمع الإسلامي أن يسير في الطريق السليم الذي يستطيع به أن يؤدي وظيفته في هذه الحياة طبقا لمنهج الله سبحانه وتعالى الذي اختار هذه الأمة لتكون شهيدة على الناس ويكون الرسول شهيدا عليها ، وبذلك يظهر حبنا لله وشريعته فيحبنا الله ويغفر لنا { قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ } (آل عمران : ٣١) .

فليس للروح حق السيادة على البدن وليس للبدن حق السيادة على الروح

إذ أن البعث وشؤون القيامة لهما معا فدعوة التوازن بين المادي والروحي هي من أهم مل يميز الإسلام عن غيره .

لذلك نهى عن الإخلاد إلى الأرض { وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ۝ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ } (الأعراف ١٧٥:١٧٨)

كذلك عارض الموقف الروحي البحت { وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ } (الحديد :٢٧) فالحقيقة الدينية قديمة قدم الإنسان .

ويؤكد التلازم بين الإنسان والدين على :

- التخفيف من العزلة والغربة الروحية التي سيطرت على هذا العالم على أساس أن الدين يقوم على الإيمان بالله وعالم الغيب ، ورسمه للطريق إليه .
- إحياء دلالة الدنيا والآخرة ، فهذه الدلالة الثنائية تخفف من سيطرة القلق على أساس أن الموت ليس فناء ، وإنما هو وجود مرتبط بالأبدية وبالله تعالى فالإيمان بالله يؤكد هذا التلازم الوجودي بين الإنسان والدين وعلى التخفيف من الغربة والعزلة الروحية من حيث أن الدين مرتبط بالإيمان بالله تعالى – ويستتبع العزلة الحنين إلى الله – والعامل الإلهي هو وحده الذي يستطيع أن يقتصر على العزلة وان يجعل الإنسان مدركا للشعور بالألفة ، والصلة ومتوخيا غاية موجودة ، والله سبحانه وتعالى أساسا هو الذي يمكن أن نؤمن به إيمانا مطلقا وهو الذي يمكن أن يستسلم له الإنسان استسلاما كاملا ومن مصادر استعباد الإنسان وذلته حرصه على المكانة الاجتماعية من هنا نستطيع أن نفهم تقسيم القرآن للنفوس إلى :

- نفس مطمئنة { يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ } (الفجر :٢٧)

- ونفس ولوامة { وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ } (القيامة : ٢)

- ونفس وأمارة { إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ } (يوسف : ٥٣)

فالنفس المطمئنة مطمئنة باعتبار طمأنيتها إلى ربها بعبوديته ومحبيه وبالإنابة إليه ولا طمأنينة حقيقية إلا بالله وبذكره { ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ } (الرعد٢٨-٢٩) .

الإيمان باليوم الآخر :

عصر التقنية موجه بأكمله نحو المستقبل ولا يسمح للروح أي فراغ لتؤكد نفسها بوصفها الخالقة الحرة للمستقبل .

وللسرعة القائمة على الآلية المتزايدة للحياة اثر على الروح الإنسانية، وبتأثير السرعة الفائقة انحلت (الانا) الإنسانية إلى أجزاء ضئيلة جدا وسبيل الروح إلى تحقيق شخصيتها يكون بالتأمل والتأمل هو مركز الإيمان { إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٠﴾ }(آل عمران ١٩٠)

تصفية حسابنا العقلي :

خمس ملاحظات يجب أبدوءها ، للتوازن بين الدين والحياة : ملاحظة عامة حول الخلاف والاختلاف : الاختلاف موجود في كل شيء حتى بين الإنسان ونفسه . فما دام هناك فرق بين الإله والبشر فسيظل تبعا لذلك اختلافا عاما بين ما هو توجيه الهي وفكر بشرى ، إذ لولا الاختلاف لما وجد التفاعل ، والاختلاف ليس سر الأزمة ، ولكن الخلاف حول الاختلاف بين الدين والفكر هو الذي يشكل الأزمة .. ومظاهر هذا الخلاف يظهر في موقفين :

١. موقف من يوفق بين الدين والفكر .

٢. موقف من يخالف بين الفكر والدين إلى حد التناقض .

الملاحظة الأولى : حول الموقف العقلي واللاعقلي

وهناك فارق هام بين موقفين للفلاسفة من الدين :

- موقف الذين يقبلون الدين في احدي صوره القائمة باعتباره أمرا أساسيا في حياة الإنسان .
- وموقف الذين لا يقبلون إلا الديانات المنظمة على أسس فلسفية .

الملاحظة الثانية : حول الدين والتكنولوجيا :

في عالمنا المعاصر مظاهر متناقضة نحو الدين والتكنولوجيا ، فحضارة التكنولوجيا نبذت الدين ، ومرض الإنسان روحيا لذلك ، وظهرت عوارض هذا المرض في صورة :

- تعدد المذاهب حول المعيار الأخلاقي .
- فوضى الآراء حول القيم .
- عدم تحديد المفاهيم مما أدى إلى الخلط بين الحرية والسياسية والحرية الأخلاقية .
- صرخات الإلحاد وفصم العلاقة بين المادة والروح .

وهناك حضارة مازالت تتمتع بالجانب الروحي متخلفة عن المجال التقني ، تبغي التحلل من دينها وليس لها من حجة في تخلفها سوى أنها متمسكة بدينها مثل تركيا مع أن هذا هو نتيجة الإهمال التقني وليس سببه الدين .

الملاحظة الثالثة : حول الإنسان والحقيقة الدينية :

فالحقيقة الدينية ترتكز على ثلاثة مبادئ : الوحدة والثبات والانسجام ومصدرها الله تعالى وهو رمز الوحدة والتوحيد وطريقها الرسول والرسالات الحقيقية أكدت نفسها بما سبقها من حقائق الوحي المنزل فالكل يستند إلى الوحي

الإلهي ، ومقرها الإنسان – فالحقيقة الدينية واحدة معروفة ولكن الإنسان هو الذي يتصارع على الرغم من علمه بها { وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ } (الاعراف١٧٥) ولذلك نرى التعارض شديدا بين الرسول وبين أهل الكتاب ومرجع ذلك إلى التمييز الاجتماعي الذي يكون عليه الإنسان والدعوة الجديدة لا تحرص على المراكز الاجتماعية لأصحابها ولكن تحرص على صفاء العقيدة .

ثم إن الفكر الديني الشخصي ، يمثل نفاقا اجتماعيا وهو الذي يمثل الفهم الشخصي في الدين .

الملاحظة الرابعة : حول الدين والعقل والمناهج العقلية :

علينا أن نلتمس معيار الحقيقة في العقل والوجدان معا ، وبذلك يظل القلب المصدر الأعلى للقيمة الحقيقة لا كما يتصور معظم الفلاسفة الذين قالوا إن الذات العارفة لا تستطيع أن تدرك الوجود إلا عن طريق العقل ثم إن المعرفة تنطوي على جانبين : جانب باطني وجانب متعال ولابد أن نميز بين نوعين من المعرفة .

- المعرفة العقلية الموضوعية التي لا تتجاوز حدود العقل .
- المعرفة الباطنية في الوجود التي يستطيع العقل أن يدرك اللامعقول بعد أن يعلو على العلم وهذه المعرفة هي المرادفة للاتصال الروحي والمشاركة .

الملاحظة الخامسة : حول التدين والضعف والإلحاد والقوة :

إن حقيقة الإنسان ضعف وعجز وجهل وإن من معاني هذا الشعور ما يدفع الإنسان إلى الإيمان بالله تعالى ، وتنظيم العلاقة بينه وبين الله ، وترتكز هاتان الحقيقتان على أساسين :

- أساس علمي يقول أن الكون مرتبط بقوانين ودور الإنسان هو دور المكتشف فالإنسان محكوم بهذه القوانين .

- أساس ديني يقول : ولن تجد لسنة الله تبديلا .

وحاجتنا اليوم إلى كلمة سواء وللكلمة السواء أسس ثلاثة :

١. العقيدة وأساسها الوحدانية : يقول الله تعالى { قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ } (الإخلاص ١) .

٢. الأخلاق وأساسها الرحمة : يقول الله تعالى {وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ} (الأنبياء ١٠٧) .

٣. التشريع وأساسه العدل :يقول الله تعالى { وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ } (المائدة : ٨) .

والإسلام بتقديمه لكلمة سواء ، يلغي التعصب ، والكلمة السواء ، تجعله عالميا .

وكلمة سواء الإسلام ليس فيها ما يربطها بالجنسية ، ومن هنا كان اصدق تعبير عن الدين وكانت القضية قضية (إن الدين عند الله الإسلام) قضية لا شك فيها وكانت القضية المترتبة على هذا (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه) لا شك فيها .

خاتمة هذا الموضوع : ترتبط بمشكلة إنسانية هي القلق الإنساني كأزمة حضارية معاصرة لذلك رأينا أن نفصل بيننا وبين أنواع أخري من القلق هي :

١. القلق الطبيعي .
٢. القلق النفسي .
٣. القلق الصوفي .

القلق الطبيعي يعتبر دافعا للإنسان ومرافقا له في كل نهاية ، لأن الإنسان بلا قلق يعتبر فاقدا للدوافع ، بليد الإحساس ، جامد المشاعر .

والقلق النفسي : دراسة لأحوال مرضية نتيجة مشاكل وظروف خاصة .

والقلق الصوفي : قريب من معنى الخوف يتخذ منه الصوفية دافعا للترقي في مراقبهم ومدارجهم وهي نتيجة واقعية وشوق إلى حاجات عليا وخوف من عدم الوصول إليها . وهذا البحث خطوة نحو التشخيص والعلاج .

ثم إن أزمة القلق المعاصرة هي نتيجة للاتصال الذي حدث بين العلم والدين والنظام الاجتماعي في أوربا الإقطاعية وسوء تصرف الكهنة هو الذي ألحق بالدين شبهة أن الدين هو سبب التأخر ، ومحاولة عقلنة الدين أو إخضاعه للمناهج العلمية لتؤدي إلى زعزعة قواعده وقد فشلت في وضع دين جديد باسم الإنسانية ، وشيوع الإلحاد سببه محاربة الكنيسة للتقدم العلمي ، والتأثير على الحقيقية الدينية هو تأثير على العلاقة الروحية بين الإنسان وبين الله .

وهذا البحث هو دعوة لتوازن بين ضرورة العلم وضرورة الدين ، فالجانب المادي يقوم به العلم ، والجانب الروحي يقوم به الدين ، والنزاع بين العلم والدين مفتعل .

والتمييز بين الدين ورجال الدين والفكر الديني مهم ، والبحث بالنسبة لأزمة القلق المعاصرة خطوة إيجابية مشاركة للفكر نحو نظرية جديدة حول الدين

والدين علاقة دائمة بين الله وبين الناس ، والعبادة تقضي عابدا ومعبودا — والدين الحقيقي هو الذي لا ينتسب لدولة ولا لطبقة ولا لمكان ومن هنا كان الإسلام هو دين الحاضر والمستقبل { رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ } (آل عمران : ١٩٣) .

التعليق : فضيلة الأستاذ الدكتور محمد الفيومي من علماء الأزهر الشبان ، الذين يمتازون بالحيوية والنشاط وحب العلم والغيرة على الإسلام وهو يرتاد آفاقا جديدة في الفلسفة وعلم النفس يدرسها دراسة فاحصة ويناقشها مناقشة دقيقة ليخرج من هذا كله إلى أن الإسلام هو الدين ، الذي فيه خلاص البشرية

من مشاكلها وكتابه (القلق الإنساني) يقع في أكثر من خمسمائة صفحة عالج فيه موضوعا من أهم موضوعات العصر إثارة (القلق الإنساني – مصادره – تياراته وعلاج الدين له) بعد أن فشلت كل الفلسفات في علاجه بل أن هذه الفلسفات كانت سببا في زيادة هذا النوع من الأمراض الخطيرة التي حطمت الأفراد ، والجماعات في المجتمعات الحديثة ويتميز أسلوب كاتبنا بالسلاسة والسيولة وحسن العرض .

ويلاحظ أن الكاتب الفاضل قد بذل مجهودا كبيرا في عرض المذاهب المختلفة ومناقشتها من جوانبها المختلفة ومع ذلك فإن القارئ المهتم بهذه الدراسات يجد صعوبة في متابعة هذه الآراء والتعليق عليها .

ومن العناصر الهامة في هذا الكتاب علاج القلق – وقد أشار إلى هذا العنصر إشارة عابرة وهو أن العلاج يطلق على ثلاثة طرق – كما اطلق علماء مناهج الصحة الجسيمة [طريق علاجي وطريق وقائي ، وطريق إنشائي] .

وكنت ارجوا لو اقتصد في عرض المذاهب الفلسفية المختلفة وأطال في بيان علاج الإسلام لقلق المرضي ، الذي انتشر وعقدت المؤتمرات المختلفة لمحاولة علاجه .

يقول الدكتور ريز رئيس جمعية الصحة العقلية في المؤتمر الثاني عشر للصحة العقلية الذي عقد في برشلونة في سبتمبر عام ١٩٥٩ (إن أهم ما يمتاز به القرن العشرون أنه تسوده عوامل الصراع والتطاحن والحرب النفسية لدرجة جعلت كثيرا من سكان العالم في بقاع الأرض المختلفة يعيشون على حافة الهاوية – كل هذا دعا الباحثين في علم النفس إلى أن يطلقوا على هذا العصر (عصر القلق) .

الناحية الإنشائية في الإسلام :

الإسلام غنى بالناحية الإنشائية للطفل حتى يخرج إلى الحياة قوي الجسم سليم النفس والله سبحانه وتعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم وهو أدري بما

يصح جسمه وما يصح نفسه وعنايته بالطفل تبدأ من قبل ولادته بتهيئة الجو الملائم الذي يربى فيه بحيث يخرج إلى الحياة مسلما كاملا قائما بواجبة نحو ربه ونحو أسرته ونحو مجتمعه وبذلك يستشعر الرضا والسعادة فاشترط اختيار الوالدين على أساس الدين – وجعل البيت قائما على أساس المودة والرحمة وحدد واجبات الوالدين في معاملة الأبناء من ناحية الرضاعة والعناية بالنواحي الجسمية والنفسية والعقلية – فالبيت الأمثل صلة روحية ورحمة ومودة بين ساكنيه فيه تنبعث عواطف المودة والتضحية والتعاون – وخير العواطف أمسها بحياة المجتمع – وعواطف الصداقة والاحترام - احترام الطفل لأبويه الذي هو أساس احترامه لنفسه .. وكل سلطة زمنية أو روحية فيما بعد فيه يتعلم الطفل معنى الضبط وقيمته طوعا من والديه فقد عرف أن فيه خيره وسعادته في هذا البيت يخرج الطفل إلى الحياة مزودا بالثقة من العواطف الحميمة تكون في يده سلاحا للكفاح كما تكون أمانا من العلة النفسية في مستقبل حياته .

والطفل الذي ينشأ في البيت المسلم ينشأ على صلة قوية بالله تعالى فيحس بأنه متمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها فيكون بذلك في مأمن من الأمراض النفسية لأن الإيمان بالله خالق الإنسان ومدبر الكون يجعل الإنسان يحس بأن له سندا قويا في هذه الحياة – ولذلك فأن الاعتقاد في وجود الله أهم وسائل الوقاية من الأمراض النفسية والعلاج من مرض الوحدة .

والمجتمع الإسلامي الذي يعيش فيه الطفل – مجتمع يقوم على المودة والثقة والتعاون والتعاطف – فالمسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه – والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا – والمؤمن يقيم العدالة في الارض وهو في رعاية الله تعالى وفي الآخرة مأواه الجنة – وهو يحس بهذه المقاييس الجديدة الخاصة بالمجتمع الإسلامي الذي أراده الله تعالى والمؤمن متصل بالقرآن الذي أنزله الله تعالى ليكون شفاء ورحمة للمؤمنين { وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ

وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ } (الإسراء ٨٢) ذلك لأن الإيمان نور يشرق في القلب فتشرف به النفس- فيرى الإنسان الطريق أمامه واضحا فلا يصيبه اضطراب ولا قلق – وعقيدة الإسلام حين تتغلغل في النفس تدفعها إلى السلوك الإيجابي السليم الذي يجعل المؤمن ثابتا { يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ } (إبراهيم٢٧) والإسلام يهيئ نفس المسلم لتحمل صعوبات الحياة {وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ } (البقرة ١٥٥) وبمقدار صبر الإنسان على ما يلقى بمقدار ثواب الله تعالى له { إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾} (الزمر١٠) والإنسان في هذه الحياة يخاف من الفقر والله سبحانه وتعالى يطمئنه بأن الرزق مكفول له {وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ } (الذاريات ٢٢) فالمسلم يتطلع إلى السماء وإلى الله الخالق – وليس معنى هذا إهمال الأرض فالإنسان مكلف بعمارتها – ولكن المقصود ألا يعلق نفسه بها وألا يغفل عن الله في عمارتها – وبذلك يعيش قلبه موصولا بالسماء وقدماه ثابتتان في الأرض وعلى الإنسان ألا يتطلع إلى ما في يد غيره أو إلى أن يطلب أشياء فوق قدراته المادية والجسمية واستعدادات الفطرية – وبخاصة وأن ما في يد غيره قد يكون مقصودا به الفتنة وقد عافاه الله منها { وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ } (طه١٣١) والإنسان قد يخاف من المرض والإسلام يطلب من المسلم أن يلتمس العلاج – ويرشده إلى أن ما يصيب المؤمن له ثواب حتى الشوكة يشاكها والمسلم بكل خير على كل حال إن أصابته ضراء فصبر كان خيرا له وإن أصابته سراء فشكر كان خيرا له وليس ذلك إلا للمؤمن .

والإنسان قد يخاف من ضغوط الحياة لأسباب والرسول عليه السلام يبين

للمسلم أن عليه أن يكون متصلا بالله تعالى ولا يهمه الناس لأنهم لا يملكون له نفعا ولا ضرا – فلو اجتمعوا على أن ينفعوه – لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له – ولو اجتمعوا على أن يضروه لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه .

والإسلام يربى أبناءه على البعد عن الحقد والكراهية والحسد وقد اثبت العلم الحديث أن لهذا كله تأثير كبيرا على جسم الإنسان وعلى نفسه – فهو يرفع ضغط الدم ويحدث جفاف واضطرابات خطيرة في الغدد الصماء وعسرا دائما في الهضم والامتصاص الغذائي وأرقا وشرودا والنفور والاشمئزاز يؤديان إلى أمراض نفسية كالحساسية – والحساسية ذاتها نوع من أنواع النفور – نفور الجسم من مواد غريبة عليه .

والإسلام يربي أبناءه على الأمل والبعد عن اليأس – ذلك لأن اليأس والإيمان لا يجتمعان في قلب مؤمن والقرآن الكريم يقول { وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ } (يوسف : ٨٧) – ذلك لأن اليأس يؤدى إلى انقباض الكورتزون في الدم .. والغضب يؤدى إلى ارتفاع الأدرالين والتروكسين في الدم بنسبة كبيرة – وإذا استسلم الإنسان لدوافع الغضب واليأس فإنه يصبح فريسة سهلة لقرحة المعدة والسكر وتقلص القولون وأمراض الغدد الدرقية والذبحة – وهى أمراض لا علاج لها إلا المحبة والتفاؤل والتسامح لأنها في حقيقتها أمراض نفسية .

ومقاومة الأجسام للأمراض تكون على أعلى مستوى من الكفاءة إذا كان هناك انسجام بين كل الخلايا والغدد والأعصاب وهي حالة ترتد في النهاية إلى صورة الائتلاف الكامل بين النفس والجسد .

ومن هنا فإننا نجد أن المؤمنين الصادقين الذين سلمت نفوسهم وصفت قلوبهم بأخص الإيمان لم يتعرضوا مطلقا للأمراض النفسية التي تجر وراءها

الأمراض البدنية – ذلك لان هذه الأمراض بنوعيها لا تظهر إلا مع ضعف الإيمان أو مع فقده حين تتسرب الوساوس إلى النفس فتنشأ العقد وتكثر الحاجة إلى الأدوية المنظمة والمهدئة والمخدرة التي لا يعتدل بها ما اعوج من النفوس – وسيظل الصراع قائما في زوايا النفس التي ضعف إيمانها – ومن هنا يقول الدكتور بريل (إن المرء المتدين لا يعانى قط مرضا نفسيا) .

وينصح علماء النفس بأن يكون للإنسان مثل أعلى في الحياة أو مبادئ أو فلسفة دينية أو خلقية تكون عونا له على البت السريع فيما يعرض له من مواقف حافلة بالصراع – وتكون سلاحا يستمد منه في شتى ظروف الحياة حوافز إلى العمل قوية عالية تتلاشى دونها الثروات الكاذبة .

العلاج النفسي في الإسلام :

يبدأ العلاج بالنسبة للمريض عن طريق وصله بالله تعالى فيبدأ في الشعور بالراحة والطمأنينة لأنه يحس بأن له سندا قويا في هذه الحياة فيبعثه هذا على التغلب على مشكلاته والنظر إلى الحياة بعين راضية .

والإيمان : هو نظافة القلب والنفس من الوساوس والشكوك – وهو الدعم الذي ينشأ على هذه النظافة للخلق القويم والجسم السليم – والإيمان لذلك يزيل جميع العلل المادية والحضارية في عالمنا المعاصر – إذ أن الأمراض النفسية تزداد مع نشاط الحياة القائمة على المادة وحدها بعيدة عن الإيمان وقوته .

ولكن ما يقلق الإنسان في هذه الحياة ؟ أنه قد يقلق من خوف الفقر – وعلى الإنسان أن يلجأ إلى الله تعالى ويستعين به ويطلب منه أن يحميه من الفقر – ولكن الدعاء لا يكون لطلب الحماية من الفقر وحده – ولكن أيضا من أشياء أخرى تؤثر في صحة الإنسان النفسية ومن ذلك ما ورد في الحديث الشريف (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال) أبو داود ، فالحديث

الشريف يربط بين الكفر والفقر – بين الدنيا والآخرة – وقد رأى النبي عليه السلام أبا إمامة في المسجد في غير أوقات الصلاة فقال له : ما لي أراك يا أبا إمامة في المسجد في غير أوقات الصلاة – فقال يا رسول الله : هموم ركبتني وديون لزمتني فقال عليه السلام (ألا أعلمك كلمات تقولها في الصباح وفي المساء فيفرج الله عنك همك ويقضي دينك فقال بلى يا رسول الله فقال له الرسول عليه السلام الدعاء السابق .

وإذا كان الخوف من رئيس أو غيره فعليه أن يعتصم بالله وأن يعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروه لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه كما جاء في وصية النبي لعبد الله ابن عباس .

وإن كان الخوف من معصية الله فإن الله سبحانه وتعالى قد فتح باب التوبة على مصراعيه في قوله تعالى { قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ } (الزمر٥٣) فهي رحمة واسعة تسع كل معصية وتسع الشاردين جميعا وتدعوهم إلى الأمل والرجاء

وهكذا في كل ناحية من نواحي المشكلات الحياتية ، فقد بدأ الإسلام بالعناية بالناحية الإنشائية حتى تنشأ النفس المسلمة نشأة سليمة قوية فتستطيع أن تؤدى رسالتها في هذه الحياة – فإذا ما ضعفت في وقت من الأوقات لسبب من الأسباب فإن العلاج الإسلامي كفيل بأن يعيد للنفس المسلمة اتزانها وصحتها .

وبعد فإن هذا الكتاب له أهمية خاصة في مجتمعنا المعاصر لأنه يناقش مشكلة لعلها أهم مشاكله وقد بذل فيه كاتبنا جهدا كبيرا .

خـــاتمـــــة

يلاحظ أن المجتمعات الحديثة تحس بالملل الحضاري وسبب ذلك أن الإنسان لا يحس بأن له وظيفة في هذه الحياة فهو يعيش بلا هـدف يحققـه وبـدون رسـالة يسعى إلى الوصول إليها وهو بذلك يعيش حياته بدون توافق مع نفسه ولا مـع مجتمعه الصغير ولا المجتمع الكبير ومن هنا فانه يعيش حيـاة يحـس فيهـا بالغربـة والفراغ على الرغم من كثرة المال الذي يجعله يشبع كل رغباته الحسية وهـذا مـا جعل برتراند رسل يرى أن الخطر المحدق بالبشرية ليس في الخطـر الـذرى بـل في الملل الحضاري الذي يظهر في مجتمعات كل ما فيها موجه لإشباع رغبات الحـس وحدها .

والحضارة الغربية بتفوقها العلمي والتقني أوجدت وسائل الراحة الكاملة للإنسان فهو يستخدم الهاتف ويركب السيارة والطائرة – ولذلك فقد وجد عنده وقت فراغ طويل وإحساس بالغربة – وقد دفعهم ذلك إلى الهروب من المجتمع بالانتحار بعد أن تناولوا المهدئات والمخدرات فلم يجدوا فائدة من ذلك . ومن الطريف أن أمريكا بها جمعيات تسمى جمعيات فن الموت فمن أراد أن ينتحر فانه يدفع مأتي دولار لجمعية من الجمعيات وفى حفل راقص المهدئات ثم المخدرات ثم السميات وبذلك يتم الانتحار .

وقد كتب الممثل الشهير دودى الن مقالا عنوانه (نحن تائهون في الكون) نشرته مجلة المختار عدد نوفمبر سنة ١٩٩٨ م قال فيها (أكبر من أي وقت مضى يقف الإنسان أمام مفترق طريقين يؤدى الأول إلى القنوط وانعدام الأمل ويؤدى الثاني إلى الإبادة الشاملة) ثم يقول (إن ما فعله أولئك الذين فقدوا الإيمان بوجود إله خالق هو أنهم جعلوا من التقنية إلهاً ، ولكن هل للتقنية جواب شاف؟ نحن نعيش اليوم في مجتمع أكثر إباحية وليس لنا محور روحي بل نحن

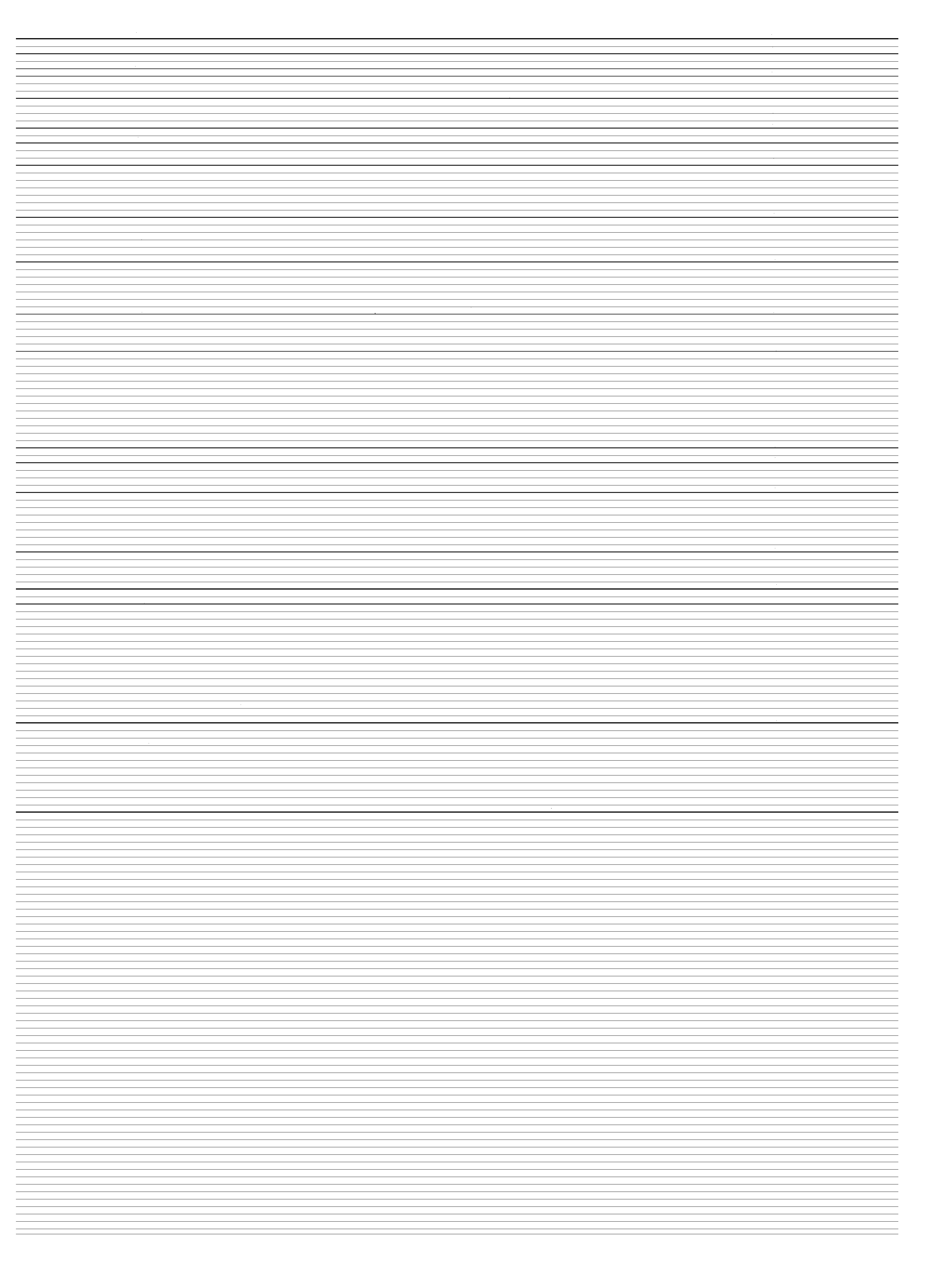
تائهون في الكون) .

وهذا الكتاب يعطى صورة واضحة للتربية الصحيحة التي تجعل الإنسان يحس بأن له وظيفة سامية في هذه الحياة وبأن له صلة وثيقة بالخالق سبحانه وتعالى ولذلك يهتم بالعلم النافع وبالعمل الصالح وينشر العدل والمساواة والمحبة الشاملة وبذلك تستقيم الحياة .

وحين يحس المسلم بأن له رسالة سامية في الحياة فإنه يسعد بصلته بالله سبحانه وتعالى وبرضاء الله عنه في الدنيا والآخرة والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

علي القاضي

فهرس



كتب صدرت للمؤلف

١- أضواء على التربية في الإسلام .
٢- وظيفة المرأة في المجتمع الإنساني .
٣- جامعات يوسف .
٤- الحدود في الإسلام هدية الله إلى البشرية .
٥- دور المرأة ومكانتها في الحضارات المختلفة.
٦- ماذا تعرف عن بديع الزمان النورسي .
٧- علم الإنسان في القرآن الكريم .
٨- الحضارة الغربية المترفة تسير إلى الهاوية .
٩- الإسلام يدلل المرأة .
١٠- معارك رمضانية فاصلة في تاريخ الإسلام.
١١- الفن بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى.
١٢- أضواء على الغزو الثقافي للمجتمعات الإسلامية.
١٣- مفاهيم إسلامية .
١٤- أوسمة إلهية لخير البرية .
١٥- لماذا أسلمنا ؟ .
١٦- أضواء على شخصيات إسلامية متميزة.
١٧- أضواء على افتراءات أعداء الإسلام على التاريخ الإسلامي .
١٨- أضواء على الحضارة الإسلامية .
١٩- الحضارة الإسلامية حضارة إنسانية شاملة.
٢٠- خمسة أسئلة عن الإسلام في العصر الحديث والإجابة عليها.
٢١- رجاء جارودي الفيلسوف الماركسي الذي أسلم.
٢٢- المنهاج الإسلامي لحل المشكلة التربوية في العالم الإسلامي .

٢٣- الحكمة في التشريعات الإسلامية .

٢٤- أوسمة نبوية .

٢٥- حضارة التوحيد .

٢٦- ماذا تعرف عن جماعة التبليغ والدعوة .

٢٧- ماذا تعرف عن المدينة الأندلسية قرطبة .

٢٨- الانفجار السكاني بين الحقيقة والخيال .

٢٩- فن الذوق (الإتكيت).

٣٠- السنن الإلهية في الأنفس والآفاق .

٣١- النظم الإسلامية ودورها في سعادة الأمم .

٣٢- القرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة

٣٣- أضواء على كتب تربوية حديثة متميزة

كتب تحت الطبع

١- أضواء على كتب إسلامية حديثة .

٢- أفكار في التربية الإسلامية .

٣- المدينة المنورة عند الهجرة .

٤- مكة المكرمة عند الهجرة .

٥- التلوث بأنواعه وأثره في تدمير المجتمعات .

٦- أركان الإسلام ودورها في إعداد الإنسان الصالح .

٧- دور الشباب في الدعوة إلى الله .

٨- الإسلام في عيون الآخرين .